

# حراء

السنة الثامنة عشرة / (يناير - فبراير) ٢٠٢٣

مجلة علمية ثقافية أدبية  
www.hiragate.com

دورية تصدر كل شهرين

94

Hira Magazine | Knowledge - Cultural - Literary | January - February 2023

## اشحذ عزمك

اشحذ عَزْمَكَ قُمْ يا صاح  
حاشا لِلظُّلْمَةِ نرتاخ  
مهما اقتات الشَّرُّ عليها  
نَهَمًا وَهَمًا جاءَ وراخ  
كُنْ للتائه -أنت- دليلاً  
أوقِدِ لِلأَمَلِ المِصْبَاح  
وَعُدِّ النَّصْرَ مَدَى الأَزْمَانِ  
بعَدَ اللّيلِ يجيء صباح



الصحة النفسية في بيئة العمل  
صابر عبد الفتاح المشرفي

٦٠

آيات الآفاق والأنفس مشترك  
إنساني / د. يحيى وزيري

٢٧

رهاب الصقيع  
فتح الله كولن

٢

## اكتشاف الذات

أما "محمد السقا عيد" فيتحدث عن "بريق الابتسامة"؛ معتبراً أن الابتسامة من أهم تعابير الوجه التي تعكس حالة السعادة والرضا. وقد أثبتت الدراسات العلمية أن الابتسامة لها تأثير إيجابي على صحة الإنسان، حيث تساعد في خفض مستوى التوتر، وزيادة إفراز الهرمونات السعيدة في الجسم، وبالتالي تحسن المزاج وتعزز الدفاعات الجسدية.

وأما "صلاح عبد الستار الشهاوي" فيدور حديثه حول "العلاج بالقراءة في التراث الإسلامي" الذي يعتبر أحد الأساليب المبتكرة في مجال العلاج النفسي. فالقراءة تعدّ من الأنشطة المهدئة للعقل، التي تساهم في تحسين الصحة النفسية للفرد وتخفيف التوتر والقلق فيه.

"إن الحقائق العلمية التي وردت في آيات الآفاق والأنفس، تعتبر مشتركة إنسانياً، حيث إن مخرجات هذه الحقائق العلمية يستفيد منها الناس عبر الأزمنة بتنوع أجناسهم وأديانهم وثقافتهم، وليست حكراً على أحد". وذلك ما أشار إليه "يحيى وزيري" في مقاله الشيق "آيات الآفاق والأنفس مشترك إنساني".

وأما "صابر عبد الفتاح المشرفي" فيتحدث عن الصحة النفسية ودورها الهام في بيئة العمل، مبيّناً أن الموظفين الذين يشعرون بالرضا والسعادة في العمل، يكونون أكثر إنتاجية وابتكاراً، بينما الذين يعانون من مشاكل صحية نفسية قد يشعرون بالتوتر والإرهاق، ويكونون أقل إنتاجية في العمل. لذا، يجب أن يتم توفير بيئة عمل صحية وداعمة للموظفين.

هذا إلى جانب مقالات قيمة أخرى، تنير الدرب للقارئ الكريم أثناء عروجه في سماء العلم والمعرفة. والله من وراء القصد. ■

"لا يتكون كل عمل نافع وكل مبادرة طيبة أو يُكتَب له الدوام، إلا بفضل ورثة يعرفون قيمته، وأجيالٍ تسعى جاهدة لتجعل من الواحد ألفاً، وبدون هذه الكوادر المثالية، فإنه سيَجفّ كل عمل ويتهشم وكأنما هبت عليه ريح السموم". .. بهذه العبارات يستهل الأستاذ فتح الله كولن مقاله المتصدر لهذا العدد من حراء، الذي عنوانه بـ"رهاب الصقيع"، مشيراً إلى أن كل المحاسن والقيم التي يتحلى بها الأفراد، ستعكس على المجتمع أضعافاً مضاعفة، وإن كل ما فيهم من نقص يعثورهم، سيعترض طريق المجتمع على هيئة مأساة وسيشقُّ فيه جروحاً غائرة. لذا، يوصي "كولن" بالمراقبة الداخلية، والتعمق الأنفسي، واستكشاف الذات، من أجل اجتياز هذه المشاكل المصيرية.

أما "أحمد تمام سليمان" فيتحدث عن "التسامح حول مركزية الدين"، منوهاً بأن الأخوة هي الرابطة التي تجمع بين البشر ليس في الدنيا فقط، بل في الآخرة أيضاً. يقول: "للتحقق خلافة الله في أرضه لا بد أن تتحقق الأخوة الإنسانية الجامعة والأخوة الإسلامية المائتة.. ففي أرض الأخوة تنبت بذور التسامح لتصير الأرض عُمرى بأهلها". ومن ثم يعتبر التسامح حول مركزية الدين، مفتاحاً هاماً في بناء العلاقات السلمية وتعزيز التفاهم بين الثقافات المختلفة. ومع تطور التكنولوجيا، أصبح للذكاء الاصطناعي دور هام في الأبحاث العلمية. حيث يمكن للذكاء الاصطناعي تحليل البيانات الكبيرة وتوليدها بسرعة فائقة، ولكن هذه السرعة والسهولة في تحليل البيانات، بدأت تدفع -لا سيما الطلاب الجامعيين- إلى السلوك السيئ في البحث العلمي. وهذا ما تطرقت إليه "داليا فهيمي السيد" في مقالها الموسوم بـ"الذكاء الاصطناعي والنزاهة العلمية".



٢	رهاب الصقيع / فتح الله كولن (المقال الرئيس)
٥	غرباء عما يجري بأجسامنا / د. ناصر أحمد سنه (علوم)
٨	هامش التسامح حول مركزية الدين / د. أحمد تمام سليمان (قضايا فكرية)
١٢	تأسيس علم الصيدلة / محمد زغلول عامر (تاريخ وحضارة)
١٦	الإدارة النبوية في توزيع المهام / د. مصطفى الأفهصي (قضايا فكرية)
١٩	دور الذكاء الاصطناعي في خدمة الإنترنت / أميرة الشناوي كيوان (علوم)
٢٣	بريق الابتسامة / د. محمد السقا عيد (علوم)
٢٧	آيات الآفاق والأنفس مشترك إنساني / د. يحيى وزيري (قضايا فكرية)
٣١	رسالة اليتم / د. صهباء بندق (قضايا فكرية)
٣٤	سجلات العنكبوت / حمزة الشافعي (علوم)
٣٧	إنزال الأطفال منزلة الكبار / سليمان أحمد شيخ سليمان (تربية)
٤١	العقيدة الإيمانية وبقطة الوعي بالذات / د. العطري بن عزوز (قضايا فكرية)
٤٥	العلاج بالقراءة في التراث / صلاح عبد الستار الشهاوي (ثقافة وفن)
٤٩	الذكاء الاصطناعي والنزاهة العلمية / د. داليا فهمي السيد (علوم)
٥٣	تقدير الذات بين الأنانية والإيثار / نور الدين صواش (قضايا فكرية)
٥٧	فتح الله كولن ومنهجه في علم الكلام / د. نوسه السيد محمود (قضايا فكرية)
٦٠	الصحة النفسية في بيئة العمل / صابر عبد الفتاح المشرفي (قضايا فكرية)
٦٣	نفتح من جمال / العربي السيد عمران (شعر)



## رهاب الصقيع

كربيع مزدهر يبدأ كل شيء، تصورات جميلة وأفكار حلوة وأحلام زُمردية.. فالبداية الجميلة أولى أسباب بلوغ النتيجة، ولذلك غالبًا ما تكون شيقة وباعثة للأمل.. ولكن كم من بدايات جميلة عصفت بها رياح الخريف قبل أن يدركها فصل الربيع، وخلفت وراءها عديدًا من أحلامٍ تحطمت، جمّدتها يدُ الصقيع.

لا يتكوّن كل عمل نافع وكل مبادرة طيبة أو يُكتَب له الدوام، إلا بفضل ورثة يعرفون قيمته، وأجيالٍ تسعى جاهدة لتجعل من الواحد ألفًا.. وبدون هذه الكوادر المثالية وأولئك العشاق الذين ينمو في أحضانهم هذا العمل ويترعّع، فإنه سيَجفّ ويتهشم وكأنما هبت عليه ريح السموم.

إن كل أشكال العمران في العالم، بدءًا من الحضارة المصرية، ومرورًا بحضارة روما، ووصولًا إلى جميع الحضارات الشرقية -بل والإمبراطورية العثمانية- نشأت على نفس الخط، ونمت وترعرعت في نفس الحقل، ثم ذبلت وماتت بنفس العاقبة



إن وجود مجتمع صحي، منوط بمدى تمتع أفراده بالعمق الداخلي والحياة القلبية والروحية، ولن يستطيع المجتمع مواصلة وجوده وحيويته إلا بفضل هؤلاء الأفراد.

حراه

الحزينة، لتكون جزءاً من التاريخ. وقد كان هذا المآل إلى حدٍّ ما، أمراً ضرورياً وموقفاً طبيعياً، لأنهم كانوا - منذ وقت بعيد- قد فقدوا جوهرهم الذي يتيح لهم الصمود والدوام.. فبقدر ما يتطلب وجود أي شيء وتشكله وبلوغه مرحلة النضج،

جهداً ومثابرة، فكذلك الحفاظ على وجوده واستمرار حياته يتطلب -على الأقل- مثل ذلك، بل يتطلب فوق ذلك مزيداً من الصفاء والتعلق بالجوهر، والاستئناس بالشوق والوجد.

لكي يتكون برعم، وتخرج بيضة، ويولد جنين، يمر بألف نوع من الصعوبات، ولكنه سرعان ما يضمحل ويزول إذا تعرض لقليل من الإهمال أو لشيء من الغفلة أو لخلل طفيف.. فلا أثر يبقى من ذلك البرعم الذي كان يتأهب للربيع، ولا من تلك البيضة التي تخطت ركاماً من الصعوبات حتى تخرج إلى النور، ولا من ذلك الجنين المنتظر.. وكذلك حياة المجتمعات؛ فكم من انتصارات تحققت بألف نوع من المشاق، وكم من حضارات وصلت إلى مستوى راقٍ من الأبهة والبرخ، وكم من عمران بهر العيون بفخامته، طالته موجة من صقيع غير متوقع، فسوّته أرضاً وجعلته في عداد الأحلام المؤسفة كأن لم يُغنَ بالأمس.

فلماذا هذه المآلات؟ وماذا وراء هذه الأحداث التي تجري ولا قبل لأحد بها؟ وهل من حلول تحفظ المجتمعات والحضارات وتقيها هذه الآفات؟ وإن لم تكن، فما الفرق بين الإنسان والجمادات؟

إن مثل هذه الأسئلة التي تتداعى إلى الذهن، تعكس تساؤلات دماغ أصابه الفزع مما أحدثته عواصف الخريف. ومن الممكن إضافة تساؤلات أخرى كثيرة.. ولكن، حتى لا تتعرض القلوب لحالة من التخبط في الشكوك والشبهات، لا نرى من المناسب تصوير مثل هذا الأمر. أجل، إن المجتمعات شأنها شأن الأفراد؛ لها عمر محدود وأجلٌ مقدر.. وإذا استوفى أي فرد أو مجتمع أجله، فإنه سيودع الحياة ويفارقها بسبب جليل أو حقير. فكل موجود يأتي إلى دار المحنة هذه واحداً تلو الآخر، ويفارقها أيضاً كذلك. وفي هذا القدوم والروح تتبع الأمم الأفراد، وتتبع الدول الأمم.. وعلى هذه الشاكلة تسير الأمم والدول أيضاً.. فالقادمون يعتمدون في قدومهم على العديد من التدابير والحلول، ولكنّ الذاهبين يضمحلون من الوجود بأسباب ضئيلة لا تكاد تُحس.

فقد تحطمت بين دواليب هذه الدائرة القاهرة آلاف من الأمم ومئات الآلاف من الحضارات واندثرت.. ومن يدري كم من حضارات أخرى ستمضغ بين تلك الأضراس وتُبتلع؟! وادارة غدارة هذه (الدنيا)

تلتهم كل من تراه

فلا سلطان فيها ولا عبد

حظي بما كان يتمناه (الشاعر التركي محمد لظفي)

ولكن ليس بالوسع هنا النظر إلى هذه الجولات من الذهاب والإياب في إطار "القدرية الجبرية"، بل في هذا الصدد مسؤوليات كثيرة تقع على عاتق الأفراد والمجتمعات؛ فالفرد مكلف بمشاهدة قلبية ورقابة ذاتية، والمجتمع مكلف أيضاً بأن تهيأ له أرضية يواصل عليها



وجوده.. فإذا أهمل الفرد التشبع بالشوق وإرهاق الحس والتنظيم الداخلي ومحاسبة النفس، وإذا لم يستشعر المجتمع -منذ البداية- العوامل التي تُشكّل عليه خطراً، فإن ذلك يعني ظهور أمارات الموت على ذلك الفرد أو المجتمع. ومن هذا المنطلق، نعتقد بأن رعاية الفرد للمجتمع الذي يعيش فيه، ورعاية المجتمع للأفراد الذين يعيشون في كنفه، من القضايا التي تحظى بالأهمية الحيوية.

أجل، إن وجود مجتمع صحي، منوطٌ بمدى تمتع أفرادهِ بالعمق الداخلي والحياة القلبية والروحية، ولن يستطيع المجتمع مواصلة وجوده وحيويته إلا بفضل هؤلاء الأفراد. ويمكن القول إن المجتمع إنما يتشكل على حسب الأسرة التي هي بمثابة الذرة، والأفراد الذين هم بمثابة "النظائر" (Isotopes)<sup>(١)</sup>، ويأخذ وجهته على وفق وجهتهما.

وبناء على ذلك، فإن كل المحاسن والقيم التي يتحلّى بها الأفراد، ستعكس على المجتمع أضعافاً مضاعفة، وبالمقابل فإن كل ما فيهم من صفة غير لائقة وكل نقص يعتورهم، سيعترض طريق المجتمع على هيئة مأساة، وسيشقُّ فيه جروحاً غائرة.

ومن ثم، فإذا كان أفراد المجتمع قد احترقت دواخلهم وتفحمت سرائرهم، فلا يمكن الحديث حينذاك عن الحيوية، ولا عن الصحة، ولا عن استثمار الفرص والإمكانات، ولا عن الخطوة بأطاف جديدة، ولا عن الانفتاح على آفاق جديدة.. بل على العكس، إذا تعرض الأفراد لمثل هذا الانحلال الداخلي، فسيؤذي بهم أولاً، ثم بجميع شرائح المجتمع، إلى إحباطات متعاقبة، وهذا يعني أن ذلك المجتمع سيتعرض في داخله للفساد والاضمحلال.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الأنفال: ٥٣)؛ أي حتى يغيروا حالهم القلبية والروحية، أي إذا لم يفقد المجتمع الصفاء والإخلاص والعزم والإصرار والاحتساب، وغيرها من الخصال السامية التي كان يتحلّى بها عندما مُنحت له النعم، فلن يسلب الله منهم تلك النعم -فبمقتضى العادة الإلهية- ولن يُعرضهم للبؤس والهوان.. وبالمقابل إذا فقدت الحياة الاجتماعية الخصال الرفيعة والخلال السامية التي بها تسمو وبها يتشكل قوامها، فإن ذلك يعني تداعي عمادها الأوسط، وانهار السقف انهياراً لا يمكن ترميمه. ولذلك فإننا -بخلاف الأسباب الخارجية وراء هزاتنا وانهاراتنا المتعاقبة منذ قرون- نوصي إنساننا بالمراقبة الداخلية، والتعمق الأنفسي، واستكشاف الذات.. كما نعتبر التطلع إلى المنصب والمقام سماً زاعفاً، ونعدُّ التطاحن من أجل تقاسم غنائم الانتصارات الوهمية نوعاً من الجنون.. كما نعتبر عشاق هذه القضية الكبرى الذين راحوا يلهثون وراء المنفعة الذاتية والرفاهية الشخصية، عناصر مضرّة اندسوا بين هذه المجموعة المباركة، ونحاول الابتعاد عنهم وعن أفكارهم.

فمرحى للمخلصين المحترسين الذين سينون عالم المستقبل.. ومرحى للذين ألقوا في النار وُضِّلُوا على أعواد المشانق من أجل الإنسانية في سوق القديسين.. وألفُ بشرى للذين يضحون بملذاتهم ومتعهم الشخصية من أجل مجتمعهم الذي يعيشون فيه. ■

<sup>(١)</sup> نشر هذا المقال في مجلة "سيزنتي" التركية، العدد: ٣٠ (يوليو ١٩٨١)، تحت عنوان "Kırağı Korkusu".  
الترجمة عن التركية: أجير أشيوك.

<sup>(١)</sup> النظائر (Isotopes): هي أشكال مختلفة من ذرات العنصر نفسه يكون لها نفس العدد من البروتونات (العدد الذري)، ولكنها تختلف في عدد "عدد النيوترونات".

## غرباء عما يجري بأجسامنا

العمليات الحيوية والآليات الفسيولوجية التي تجري في أجسامنا كثيرة ومُعقدة، منها هضم الطعام؛ فهو يمر بمراحل دقيقة ومتداخلة، بينما الأعضاء، والوظائف، والمخات، والعصارات، والهرمونات التي تُسهم في ذلك، تعلق على إرادة الإنسان علوًا كبيرًا، ويخرج عمل وإنتاج جُلها عن سيطرته وتحكمه.

يتغذى المرء على مواد أساسية لديمومة حياته، مثل البروتينات، والكاربوهيدرات، والدهون، والفيتامينات، والأملاح، والماء.. ولكن لا فائدة من هذه العناصر الغذائية دون هضم للوصول إلى مكوناتها البسيطة، ليتمكن امتصاصها والاستفادة منها. يُسبب انخفاض مستوى السكر في الدم، أو مستوى دهون الخلايا الدهنية، صدور إشارات لمركز الشهية بالدماغ، مما يولد شعورًا بالجوع والحاجة إلى

الطعام فنسعى لنأكل، إرادة -ربما- وحيدة نمارسها. وفور تناول الطعام بالفم، يتحرك الفكمان وعضلاتهما -ميكانيكيًا- لمضغه، وذلك بأسنان تقطع، وأنياب تمزق، وضروس تطحن، ولسان يقلب ويحرك ويُممر. ويكاد المضغ أن يكون عادة فطرية؛ فالطفل يمضغ وهو لا يدري لِمَ يمضغ. ويُختبر الطعام -كيفًا- ببراعم/ حلمات التذوق على اللسان، فيرفض غير المستساغ. وبمجرد تفكير الشخص في الطعام، أو رؤيته، أو شمه، أو تذوقه، يبدأ إفراز اللعاب والعصارة المعدية. وعند وضعه بالفم يستثير أعصابًا بجدران الفم واللسان، فيُفرز اللعاب (بمعدل ١,٥ لتر/يوميًا) من ثلاثة أزواج من غدد لعابية رئيسة (اثنتان تحت اللسان، ومثلهما تحت الفك الأسفل، واحدة قرب كل أذن). وهذه الأعصاب شبكة طرفية/وجزء متواضع من جهاز عصبي يعمل لا إرادياً. ومع سبل أخرى -كالهرمونات- تنشأ وسائل هامة، ورسائل كيميائية، لنقل الأخبار الهضمية، ومجريات الأحداث الزمنية، وتتابعها حتى ونحن نيام، يُرطب اللعاب الطعام، ويُلينه ليسهل تذوقه وبلعه.

كما يساعد على تطهير الفم والأسنان، ويحتوي على خمائر (أنزيمات) الأميليز والليباز. أما الأول فيحول النشا إلى سكر بسيط (كالجلوكوز، والمالتوز)، وأما الثاني (الليباز) فيكسر الدهون، وهو يُنتج أيضاً في البنكرياس ليكمل هضمها في الأمعاء الدقيقة. ووجود "الليباز اللعابي" في الرضع هام لتأخر تكوين النوع البنكرياسي. ولهذا الأنزيم -أيضاً- دور مناعي، كما يساعد على منع التهاب الغدد اللعابية وبخاصة الغدد النكفية.

### إلى المعدة

يؤمن البلعوم مرور الطعام إلى المريء الذي يعترضه بحركته الدودية لينقله إلى المعدة. ويتمدد المريء لتمر البلعة الغذائية، متكئاً على الجزء الرخو الخلفي من غضاريف القصبه الهوائية (غير مكتملة الاستدارة). والمعدة، وعاء عضلي قوي لتخزين الطعام ومزجه ميكانيكيًا، وهضمه كيميائيًا، بعصارتها المعدية (حامض الهيدروكلوريك، وخميرة البسسين). ومن ثم يتم تحليل المواد البروتينية لعناصرها الأولية (الأحماض الأمينية).

وباطن المعدة محمي بغشاء مخاطي قوي يقي جدارها -إلا في حالات قرحة المعدة- من هضمه بالحامض القوي. وفي المعدة يتحول الطعام إلى سائل "الكيموس". كما تفرز الخلايا قرب "البواب" (مخرج الطعام من المعدة) هرمون "الجاسترين" الذي يزيد من إفراز عصارة المعدة.

### ترابط وتتابع محكم

بعد هضم نوعي للطعام في المعدة، يغادرها للأعضاء الدقيقة بتقدير مُنظم ومتتابع؛ الكربوهيدرات، ثم البروتينات، ثم الدهون، حيث تحتاج الأولى لتفتيت إضافي بعد هضمها الجزئي في الفم والمعدة، فتغادر أولاً ليستكمل هضمها في الأمعاء. كما يتم هضم كبير وكثيف للبروتينات في المعدة؛ فترحل -بعد الكربوهيدرات- ليستكمل هضم بقاياها. ويوجد توافق مُدهش بين الأنزيمات والبروتينات؛ فثمة إنزيم للعدس، وآخر للفلو، وثالث للحوم، ورابع للبن حسب الأحماض الأمينية في كل بروتين نباتي أو حيواني.

أما الدهون فيلزمها كثير من عمليات الهضم، وتستغرق وقتًا أطول، خصوصًا في الأمعاء الدقيقة، لذا يتراخى انتقالها ريثما يتم هضم أقرانها ثم يأتي دورها. وأي خلل في مرحلة هضمية يعرقل غيره من المراحل، فهو نظام مترابط وترابطًا وثيقًا، لذا فالأكل بين الوجبات الرئيسة يزيد المدة اللازمة لإفراغ المعدة، فيربك القولون؛ لتغير توقيت طرح الفضلات، مما يسبب الإمساك وغيره من المشاكل وفق الإخلال (الاختياري) الحادث.

### غرباء عما يحدث بالأمعاء

ومع تقدم الهضم بالمعدة، تفتح فتحة البواب فيها، فينتقل "الكيموس" إلى أول أجزاء الأمعاء الدقيقة وهو "الإثنا عشر" (لكون طوله نحو ١٢ بوصة). وعند دخوله المعوي -بدهونه- يتم إفراز هرمون أنتيروجسترون فيوقف إفراز عصارتها. وتخضع المواد القادمة من المعدة لثلاث عصارات هضمية، هي العصارة البنكرياسية، والصفراء والأنزيمات المعوية. ويتم استكمال التحلل الكيميائي للبروتينات، والدهنيات، وباقي السكريات فالبنكرياس -من ملحقات أعضاء الهضم- معمل صغير للعصارة البنكرياسية المحتوية على خميرة "التريسين"





نحو ٥-٦ ساعات من مغادرتها المعدة. فتمتص الأمعاء الغليظة ما تبقى من ماء وأملاح معدنية في صورتها الأيونية، ويتم تحليل قسم من المواد الغذائية بالبكتيريا النافعة التي تستوطن هذه الأمعاء، بينما يبدأ تجميع الفضلات، وتكديسها في المستقيم، ومن ثم إخراجها -ببنيها عصبية- عبر فتحة الشرج.

وتعمل شبكة الأوعية الدموية الكثيفة والمنتشرة في نتوءات الأمعاء على سرعة وكفاءة نقل الغذاء إلى خلايا الجسم، بينما يتكفل الوريد البابي بنقل منتجات الهضم من المعى إلى الكبد، في حين يحمل الوريد الكبدي الدم والمواد الغذائية إلى الدورة الدموية العامة. ومن نواتج الهضم (السكريات البسيطة كالجلكوز، والأحماض الأمينية، والدهنية والفيتامينا، والأملاح، والماء.. إلخ) تنمو العضلات والأجسام، وتنمو الخلايا وتصلح، وتدب فيها الحيوية والنشاط، وتتوافر الصحة وعافية الأبدان، وتمارس المهام، وجليل الأعمال.

خلاصة القول، إن أطفمة وأشربة، وبحوث ومختبرات، وطب وجراحات، ومعاهد ومؤسسات، وكتب ودراسات اهتمت -وما زالت- بالهضم، ووسائله، وآلياته، وصحته، وعلله. ومع كل ذلك نعيش غرباء عما يجري في أجسامنا من دقة وتقدير، وحكمة وتدبير. إن عملية الهضم تجري خارج إرادتنا على غير علمنا، أو وعينا، وتستمر إلى حين نومنا وعلى خير ما يرام. ■

(\*) كاتب وأكاديمي مصري.

لتكسير بروتينات الطعام. ويتم صب العصارة في الإثني عشر بناء على تنيبه خلاياه بإفرازها هرمون "السكريتين". وتعمل العصارة البنكرياسية القلوية -بها مادة البيكربونات- على تعادل حموضة ما يخرج من المعدة، فلا يصلح الهضم في الأمعاء إلا في مناخ/وسط قلوي. كما أن البنكرياس غدة صماء باطنية الإفراز، وإفرازية معاً. ويفرز الجزء الأصم منه "الأنسولين" الذي يعمل على خفض مستوى سكر الدم المرتفع. فيقوم بنقل الجلوكوز من الدم للعضلات أو أنسجة أخرى لاستخدامه كطاقة. وعند انخفاضه يُطلق "الجلوكاجون" لإعادة توازن مستوى سكر الدم.

وتستقبل الحويصلة المرارية سائل الصفراء Bill من الكبد، وتضخه في الإثني عشر استجابة لهرمون "كولستوكينين". وتعمل الصفراء بقلويتها أيضاً على معادلة الحموضة وإذابة الدهون بالأمعاء. أما الكبد فمن أهم أعضاء الجسم، ومن ملحقات الهضم ذو الدور الهام في عملية الأيض (التمثيل الغذائي). فيقوم بالتنظيم والحفاظ على مستوى الكولسترول "منخفض الكثافة وعاليها"، ونسبة الجلوكوز بالدم، وما يزيد عن الحاجة من الأخير يخزنه كنشا حيواني (Glycogen) ليحوله لسكر عند الحاجة. كما يمكنه تخزين البروتينات والدهون وتحويلها إلى سكر، وله أهميته في تخزين الفيتامينات التي تذوب في الدهون (Vitamins A, D, E, K) والبولات، وفيتامين ب ١٢ والأملاح المعدنية والنحاس والحديد. كما يستخلص مادة البيليريبين من الدم وتوصلها إلى الحويصلة المرارية. والكبد مصفاة هامة ومرشح قدير، لتخلص من نفايات وسموم عمليات الأيض المختلفة مثل "الأمونيا النشادر"، فيحولها لبولينا Urea ومن ثم تفرز بالكلية مع البول، وفي حالة اعتلال الكبد تتراكم الأمونيا بالدم.

ولا إرادياً يستمر المزج والهضم، وضخ الخمائر من غدد جدار المعى الدقيقة، ثم عملية الامتصاص (الماء والأملاح والفيتامينات) عبر خمائلها Intestinal Villi وإرسالها لمجرى الدم. وكذلك امتصاص وحدات البناء (مواد القيت)، وتكوين المعى كأنبوب عضلي طويل به ثنيات داخلية، يُسهّم في زيادة سطح الامتصاص. وتصل محتويات القناة الهضمية إلى الأمعاء الغليظة بعد



## هامش التسامح حول مركزية الدين

إن العبادة الصحيحة هي الغاية الكبرى من خلق الله عباده، يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، فقدم الجن على الإنسان في الذكر، وهم الأسبق في الخلق والأمعن في القدرة؛ ليثبت أن العبادة هي أولى المستوجبات على كل المخلوقات، كما سبق في علم الله أن البشر سينشغلون عن العبادة بأمور أخرى أهمها السعي على كسب الأرزاق، لذا ذكّرهم بهذه الحجة التي سيتعللون بها قائلًا: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ (الذاريات: ٥٧)، ثم ختم هذا السياق



في أرض الأخوة تنبت بذور التسامح لتصير  
الأرض غمراً بأهلها، والأخوة هي تلك  
الرابطة التي تجمع بين البشر ليس في الدنيا  
فحسب بل في الآخرة أيضاً.

حزاه

بأسلوب القصر "إنما"، قائلاً: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (الحجرات: ١٠)، مما أوجب الصلح بينهم. ففي أرض الأخوة تنبت بذور التسامح لتصير الأرض غمراً بأهلها، والأخوة هي تلك الرابطة التي تجمع بين البشر ليس في الدنيا فحسب بل في الآخرة أيضاً، يقول تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (الحجر: ٤٧).

ونظر القرآن الكريم إلى الشرائع التي بعث الله بها أنبياء ورسله نظرة أشعة النور، التي تنبعث من مشكاة واحدة هي الإسلام، قائلاً سبحانه: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبِّئُكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة: ٤٨)، وقائلاً: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ (الحج: ٦٧).

ومع احترامنا لشرائع الشعوب الأخرى، فإننا نفرِّع بعالمية الإسلام التي نتشرف بها في العالمين، فسيدنا محمد ﷺ هو النبي الخاتم، يقول تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٠)، والقرآن الكريم هو الكتاب الخاتم، يقول تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة: ٤٨)، وهذا فضل لأمة الإسلام لا يداني، مما جعلهم شهوداً على من سبقهم من الأمم، يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣)، فهي أمة الوسطية دون إفراط أو تفريط.

والمتتبع لسماحة الإسلام يجده ينسجم مع الفطرة الإنسانية، حيث يولد ابن آدم مفطوراً على الإسلام

بتذليل بليغ لصفاته العلا قائلاً ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات: ٥٨). وتلك الصفات التي أثبتها الخالق لذاته العلية تستوجب قياساً بالخلف إثبات عكسها للمخلوق، فالله "الرزاق/ذو القوة/المتين"، في مقابل الإنسان "الفقير/ذي الضعف/المحتاج"، وهذا يؤكد حاجة الإنسان إلى العبادة قبل حاجته إلى الرزق.

وهذه العبادة جوهرها التوحيد الخالص لله ﷻ؛ لذا فالموحد هو المستحق لمغفرة مولاه، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٤٨).

ولقد ورد في القرآن الكريم بأن الدين الصحيح الواجب اعتناقه هو الإسلام، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْثًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (آل عمران: ١٩). وأكد ذلك في السورة ذاتها قائلاً: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥). ولما أكمل الله دينه بارتضاء الإسلام وتمت نعمته سبحانه على عباده: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣)، نجده بعدها يحذر من سوء العاقبة وجني الخسران بالكفر بعد الإيمان: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة: ٥).

فالله بوصفه خالقاً ورازقاً وضع هذا المبدأ العام المستغرق للجميع قائلاً: ﴿وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ (الرحمن: ١٠)، أي الأرض كل الأرض وضعتها للأنام، مما يحقق تكافؤ الفرص أمام البشر أجمعين، واستخلف الله الإنسان فيها قائلاً: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠). فإن استشعر الإنسان الاستضعاف فليهاجر في أعطاف الأرض الواسعة، مستفهماً: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ (النساء: ٩٧)، مؤكداً بعدها ﷻ النتيجة: ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مَرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ (النساء: ١٠٠). ولتحقق خلافة الله في أرضه، فلا بد أن تتحقق الأخوة الإنسانية الجامعة والأخوة الإسلامية المائتة؛ لذا عبَّر ﷺ عن أخوة الإيمان



النقي، وتوجهه بيئته التي ينشأ فيها وهو لا يزال حديث عهد بدنياه إلى أن يظل على إسلامه، أو تنحرف به بيئته إلى ما انحرف إليه من قبل آباؤه وأجداده؛ لذا فإننا نرث الدين من بيئاتنا ومجتمعاتنا مثلما نرث العادات والتقاليد، مما يدفعنا إلى أن نحمد الله على نعمة الإيجاد.. فقد خلقنا تفضلاً دون أن يكون لنا حقُّ الخلق عنده، وأن نشكر الله على نعمة الإمداد، فقد هدانا للإسلام ولم تزعج بنا الأهواء أو تضل بنا السبل لتتبع غيره، وأن نتحمل أمانة الدعوة إلى الإسلام الحنيف ما حيننا بخطاب ملؤه السماحة.

ولقد أسس القرآن الكريم لمعالم الفطرة الإنسانية، وأرشد الناس إلى توحي ما فيه مصلحتهم في العبادات والمعاملات، وبيّن للجميع أنهم في قابل أزمانهم ستعرض مصائرهم لثنائيات الفتن؛ بين الإيمان والكفر، وبين الهداية والضلالة، وبين المقبول والمردول، وبين الطاعة والمعصية، وبين الإخلاص والنفاق، وبين الأمانة والخيانة، وبين الصدق والكذب.. وغيرها، يقول تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد: ١٠)، ف"هدى" بمعنى عرف وبيّن وبصر، أي هدى الله الإنسان إلى طريق الخير وطريق الشر، ويقول تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٣)، أي هدى الله الإنسان إلى سبيل شكر النعمة أو سبيل كفرها، ويقول تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: ٨)، وذلك في حق النفس الإنسانية التي تميز بين الخير والشر.

لذا فقد أرسى القرآن الكريم دستوراً للحرية الدينية، ماثلاً في أديباته الجليلة، كقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩)، ووجه نبيه الكريم ﷺ إلى توضيح سبيل دعوته السمحة، بالبراهين الدامغة التي تميل إليها النفوس وتقتنع بها العقول، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: ١٠٨). وبعد إرساء الله مبدأ الحرية يفتح لعباده باب الأمل؛ لأن الإنسان وفقاً لجبلته سيعصي، فيهيئ الله له أسباب التوبة، في مقابل أسباب المعصية التي سهّلها الشيطان وزينتها النفس، وإلا

استشرى الشر في الإنسان عند اقترافه أول ذنب، فيقول تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣)، وقد ذيل الآية الكريمة باسمين جليلين لذاته العلية اشتقتهما من "المغفرة" للذنب الواقع، و"الرحمة" التي بدونها قد يستبد اليأس بالنفس فيهوي بها في الكفر، فأطلق عليها رَوْحاً في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَاسُؤْا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧).

ولأن رسالة النبي الكريم ﷺ تمحورت حول الرحمة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، فقد حاول وهو يأخذ بيد الخلق إلى سبيل الحق أن يشق على نفسه، فأوضح الله له أن دوره قاصر على دعوة الناس فحسب، وما هو بمسلطٍ أو بجبارٍ ليحملهم على ما لا يريدون، قائلاً سبحانه: ﴿لَسْتُ عَلَيْهْم بِمُسَيِّرٍ﴾ (الغاشية: ٢٢)، ونهاه عن أن يستبد به الحزن فيهلك نفسه لعدم إيمان بعضهم برسالته قائلاً: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِدَايَا الْحَدِيثِ آسَفًا﴾ (الكهف: ٦)، ومؤكداً البخع بالتركرار في موضع آخر قائلاً سبحانه: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يُكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٣). وذكره بأن دور أي نبي قاصر على دلالة الهداية، أما دلالة المعونة فهي لله وحده، يقول تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص: ٥٦)؛ لذا نهاه عن التحسّر على حصاد ما زرعه بأيديهم، حيث قال سبحانه: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّمَا يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (فاطر: ٨).

ولحرص النبي الكريم ﷺ على دخول قومه أجمعين في الإسلام، وجدناه في فتح مكة يطلق العفو العام عن جميع أهلها، حيث دخلها منتصراً فقال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"، وعفا عنهم بعدما خاطبوا فيه أصالة معدنه الإنساني، لمّا سألهم وهو في موضع العزة والمنعة: "ما تظنون أني فاعل بكم؟"، قالوا: "خيراً"، أخ كريم وابن أخ كريم، ولم يقولوا: نبي كريم، لأنهم لم يكونوا قد

آمنوا به بعد، لكن سماحة خطابه دفعت الكثيرين إلى اعتناق الإسلام. فقد اتسع هامش التسامح في شخصه الفريد ﷺ لينسى أنهم أخرجوه من وطنه مكة، التي وصفها بأنها أحب البلاد إلى الله وإليه، لكنه أخرج منها غنوة، وإلا لم كانت الهجرة؟ وقد كان على حال بينها دعاؤه، من ضعف قوته وقلة حيلته وهوانه على الناس، فلجأ إلى ربه وهو مستضعف يستمد عونه ويرجو عفوهُ. ولتسامحه ﷺ مع أهل مكة، فقد كان قبل فتحها يؤدي العمرة ويطوف بالكعبة وحولها الأصنام ولم يهدمها لهم، ولم تُزل إلا بعد أن عم الإسلام مكة كلها، حيث كانت الوثنية متغلغلة في نفوس العرب منذ جاهليتها، لدرجة جعلت الواحد منهم إذا ما نزل منزلاً يتخير أربعة أحجار، ينتقي أفضلها ليتخذها إلهاً يعبد طيلة رحلته، والثلاثة الباقية لأثافي قدره.

وسيرة النبي الكريم ﷺ تشهد بسماحته وسنته تشريع لمن تبعه، فقد آخى بين المهاجرين والأنصار حين أسس المجتمع الإسلامي في يثرب بعد الهجرة إليها، ولعل تلك "المؤاخاة" تمثل ما عُرف بعد ذلك في القانون بـ"المواطنة"، وجوهرها تحقق العدالة في الحقوق والواجبات، لأن المواطنين أمام القانون سواء، فلقد حرصت بعض المجتمعات الإسلامية على الحفاظ على نسيج وحدتها الوطنية.

ولعل من أغراض "المؤاخاة" في السيرة النبوية و"المواطنة" في القانون الوضعي هو محاربة فكرة "الأقلية"، ذلك المصطلح المغرض لقيامه على التمييز ضد الفئة الأقل عدداً في المجتمع، ومن رعاية الإسلام لهذه الفئة أن اختص الفقه الإسلامي بدراسة مسائلها في فقه الأقليات؛ لأهميته كفقهِ الضرورات وفقه الأولويات.

والإسلام بسماحته يأمر أتباعه بـ أصحاب الديانات الأخرى والعدل في معاملتهم، ما دام قد اختار كل منهم دينه الذي انصوى تحت لوائه، ولم يقاتل غيره أو يشاغب عليه في ممارسة شعائره، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ

اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المتحنة: ٨)، فالوطن الذي يأوي الجميع بمنزلة السفينة، لها أن تبحر بهم سالمين وأن يعيشوا على متنها مطمئنين، فإن تذرّع بعضهم بدعوى الحرية غير المسؤولة ليحرق حرقاً في أسفلها، فيجب أن يتصدى له من في أسفلها ومن في أعلاها لينجو الجميع؛ لأنهم ارتضوا أن يستهموا فيها. فالحرية المسؤولة مهما تعددت مفهوماتها لا تفتقر إلى الحكمة وجوهرها: "أنت حُرٌّ ما لم تُضُرَّ"، فلها ضوابط تحكمها دون إلحاق الضرر بالنفس أو الغير. ويخطئ من يظن أن الحرية لا حد لها ولا إطار يحكمها. والمتفرس لنسيج القرآن الكريم يجده يفرق بين أمرين؛ فعن مسائل الحرام يقول تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ (البقرة: ١٨٧)، وفي السورة نفسها عن مسائل الحلال يقول تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ (البقرة: ٢٢٩).

وحرصاً من النبي الكريم ﷺ على توطيد العلاقة بين المسلمين، فقد نهى عن الأخلاقيات التي تضعفها، كما في قوله الشريف: "لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ها هنا (ويشير إلى صدره ثلاث مَرَارٍ)، بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه" (رواه مسلم). وقد حرص على التعبير عن الأخلاق المنهي عنها بصيغة الفعل التي تدل على التشارك، إشارة إلى أن منظومة الأخلاق تمثل شراكة بين الجميع حتى يستقيم المجتمع. كما حرص الإسلام على صون الضرورات الخمس؛ الدين والنفس والعرض والنسل والمال. وفي وقت الفتن حض الإسلام على عصمة النفس وعدم إراقة الدم، والأسلم للمرء حينها أن يلزم خاصة نفسه، ويضرب سيفه في جدار بيته، حتى لا يشارك في قتل نفس بغير حق، فربأ بنفسه عن استثناء الهزج. وقد رأى الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ أن حرمة دم المسلم أعظم عند الله من حرمة الكعبة، على ما لها في نفوس المسلمين من نفاسة وقداسة. ■

(٢) كلية الآداب، جامعة بني سويف / مصر.





## تأسيس علم الصيدلة

"جابر بن حيان" أول من وُفق لابتكارات في صناعة الدواء. فقد كان مصطلح "الترياق" الذي هو الدواء قبل جابر بن حيان، مقصوراً على تلك السموم التي تعطى للمريض بكميات معينة تكفي لشفائه. وكان أغلب تلك السموم يؤخذ من دهن الثعبان، وتعطى للمرضى بكميات مقننة لعلاج بعض أمراض المعدة والقلب، كتلبك الأمعاء، وعدم انتظام

ج



**اجتهادات المسلمين في صناعة الدواء، كانت تتبع من شموليتهم المعرفية؛ حيث كان ابن حيان كيميائياً وبيطاراً، وكان الزهراوي جراحاً وضع أصول الجراحة وبيطاراً في آن واحد، وكان أبو بكر الرازي طبيباً ومعالجاً نفسياً وبيطاراً.**

حذاء

٧٠٪ مما يصيب الإنسان من أمراض. وكان ابن حيان في تركيبه لـ"عقار المحياة المحايد" - كما سماه قبل أحد عشر قرناً - ينطلق من نفس اعتبارية "فيلمنج" في تركيب "البنسلين"، وهي اعتبار أن "المضاد الحيوي" المناسب هو الفيصل في علاج أغلب الأمراض الباطنية، التي تحدث بتأثير الجراثيم والأجسام الغريبة المتسللة لجسم الإنسان. وكان "عقار المحياة المحايد" هذا قد أفاد قديماً في حصار وباء الملاريا.

كان نجاح الأطباء المسلمين المعاصرين لـ"ابن حيان" في تأسيس منظومة علاجية للأمراض الباطنية، الدور الأكبر في دفع ذلك البيطار لابتكار تلك الثلاثين والمئة مستحضر الخاصة في أغلبها بعلاج أغلب الأمراض الباطنية، وهي التركيبات التي لا يزال أغلبها يُستعمل من جانب شركات الدواء العالمية حتى اليوم. إنها تركيبات منع وعلاج تليّف الكبد التي صنعها ابن حيان من ثلاثة عناصر، هي ملح سوليفات الماغنيسيوم، وملح نترات الماغنيسيوم، وملح نترات الفوسفات. وإذا بحثنا عن أحدث عقار في العالم لعلاج تليّف الكبد - وهو "ليزنيوبريل"، نجده يتكون من مجموع تلك الأملاح الثلاثة، مُضافاً إليها فقط عنصر النحاس الطبيعي. كان لاكتشاف ابن حيان لخواص البلازما وتركيبها العضوي، دور كبير في تحديد الأطباء قديماً لمُسببات سرطان الدم، حيث وجد ابن حيان أن زيادة أكسيد الحديد في الدم عن ١٥ جزء في المليون، تؤدي إلى مُضاعفة فرص الإصابة بسرطان الدم، ولذلك فقد حذر من الإكثار من تناول الدهون الحيوانية الموجودة في اللحم الأحمر، لأنها أكثر العناصر الحاوية لمعدن الحديد الذي يتأكسد داخل الجسم ليتحول إلى أكسيد

عمليات الهضم، وضعف الدورة الدموية. كان ابن حيان أول من ركب الدواء وفق منظومة تعتمد شفاء المريض بمادة فعالة مأخوذة من عناصر وتركيبات لا يشترط أن تكون سامة بطبيعتها. وكان إجمالي العقاقير التي ركبها ذلك الكيميائي المسلم وجربها بنجاح، أكثر من ١٣٠ مستحضراً طبيّاً، لا يزال بعضها يستخدم حتى اليوم بتركيبته التي صنعها ابن حيان، مثل "مرهم الريح الأحمر" المعروف حديثاً بـ"التيراميسين"، الذي لا يزال العلاج الفعال والأكثر شيوعاً على مستوى العالم، لعلاج التهابات الجلد السطحية الناتجة عن الجراثيم التي تعلق به وتسبب التهابات وتقرحات، والذي ركبه ذلك البيطار الصيدلاني المسلم من معجون مستخرج من لحاء شجرة الصفصاف، مضافاً إليه زيتٌ مستخرجٌ من أوراق شجر السرو. ولا يزال ذلك الدهان الشافي يصنع فقط من هذين العنصرين الطبيعيين كما كان يصنعه ابن حيان قبل أحد عشر قرناً، ودون إدخال أي تطويرات أو إضافات عليه.

كما كان لـ"ابن حيان" أيضاً الفضل في تركيب "عقار ترياق الدماغ" الذي يعرف حديثاً بـ"الأفلاتوكسين"، الذي صنع ابن حيان من تركيب بروميد البروم ذي التأثير المهدئ مع كميات محسوبة من اللحاء الرقيق لزهرة الخشخاش "الأفيون". وقد اكتشف أطباء أمريكيون في عقد السبعينيات من القرن العشرين، التأثير الكبير للأفلاتوكسين في علاج أخطر الأمراض العصبية كـ"الفصام"، والذهان الهذيان (البارانويا)، وبعض حالات الوسواس القهري. وكان جابر بن حيان اكتشف فائدة "الأفلاتوكسين" هذا، في علاج حالة "الماليخوليا" التي شخصها "أبو بكر الرازي" على أنها فقدان للوعي يعقبه نوبات من الهلوسة والهذيان، تحدث بتأثير تدافع الوسواس والأوهام إلى العقل.

كما كان لـ"ابن حيان" - أيضاً - الفضل في تركيب "عقار المحياة المحايد"، الذي كان الشكل الأولي لـ"البنسلين" الذي ركبه "ألكسندر فيلمنج" عام ١٩٥٤م، والذي كان اكتشافه ثورة في صناعة الدواء، لأن "البنسلين" يعد خافضاً للحرارة ومطهراً عاماً، بما يجعله الفيصل في علاج أغلب الأمراض الباطنية التي تشكل

hiragate.com

انسدادها بفعل تراكم الدهون في الشرايين نتيجة تناول اللحوم بكميات كبيرة، وكان الأطباء المسلمون قد التفتوا لخطورتها، ونهبوا على الإقلال من تناوله، مع الإكثار من تناول الخضروات الطازجة.

أما فيما يتعلق بالمجالات البحثية الأخرى، التي أسس لها ابن حيان في الصيدلة، فيكفي تركيبه للأدوية المطهرة للجروح، بما مكن الطبيب الأندلسي الشهير "أبا القاسم الزهراوي" من التأسيس بدوره لعلم الجراحة، التي كانت "صبغة اليود" التي ركبها ابن حيان أداته الرئيسية في تضميد الأعضاء التي كانت تخضع للعمليات الجراحية. وكان الزهراوي -طبيب الخليفة الأموي في الأندلس "عبد الرحمن الناصر" - أول من أشار بالبرتر عند انتشار "الغغرينا" في العضو المراد بتره. واكتشف أيضًا فائدة صبغة اليود التي سبق وركبها ابن حيان بغرض تضميد الجروح، وقد تمثلت تلك الفائدة في نظر الزهراوي، في ذلك الأثر المخدر لتلك الصبغة البسيطة التركيب، وهو الأثر الذي يجعل من صبغة اليود أساسًا في التركيبات المستعملة في العمليات الجراحية حتى يومنا هذا، والتي لا تزال تعتمد على ثلاثة عناصر رئيسية، هي صبغة اليود، ولحاء الصفصاف المضمّد للجروح، والأفيون النقي بنسب متفاوتة.

ويبدو أن ابن حيان، كان أول من اكتشف التأثير المخدر لعنصر اليود الذي تُفرزه الغدة الدرقية في الجسم. وكانت إضافة ابن حيان الموقّعة لعنصر البروم والنحاس إلى اليود في صناعة تلك الصبغة، تأكيدًا على إلمامه بخصائص هذين العنصرين الطبيعيين في تلاشي الإحساس بالألم الناتج عن الجروح الغائرة الناتجة عن الجراحات.

وكانت دراسات الزهراوي في علم الجراحة، قد أثبتت نجاعة تلك العناصر الثلاثة المُسكنة للجروح. والعجيب في الأمر، أن عمليات القلب المفتوح تعتمد منذ بدايتها في سبعينيات القرن الماضي وحتى الآن، على صبغة اليود في تسكين آلام الشريان الأورطي الناتجة عن عمليات القلب المفتوح. ويظل تركيب ابن حيان لصبغة اليود، أساس صناعة مطهر "البيتادين" الأشهر في العالم حاليًا، الذي كان تركيبه



hiragate.com

الحديد، الذي يزيد من فرص الإصابة بسرطان الدم. يقول ابن حيان في صفة "السيانيد": "اعلم أنه أقتل شيء، وقد جعل الله من صفته أنه إذا رُكب مع النحاس كان سببًا في منع انسداد مجرى الدم، وإذا رُكب مع الحديد كان سببًا في نقاء الدم من السّم، وإذا رُكب مع الفوسفات كان سببًا في اخضرار الزرع وقتل ما يحوطه من آفات".

وكان ابن حيان هو من أسس منظومة "الأقرباذين"، وهي تلك المتلازمة العلاجية الخاصة بعلاج ٢٤ مرضًا باطنيًا، كأمراض كسل الكبد، وتقرّحات المعدة، وارتجاع المريء. وكانت تلك المنظومة تشمل ١٣ عقارًا رُكبت جميعها من إضافة مُركب السليمانني السام إلى عناصر المعادن المختلفة، كالحديد والنحاس والمغنيسيوم. وكان ابن حيان قد ركب السليمانني من إضافة البروم إلى نترات النحاس بكميات محسوبة. وغني عن البيان لدارسي الصيدلة، أن أملاح النترات التي يحويها السليمانني، هي ما يعادل ضغط الدم ويمنع انسداد الشرايين، التي يحدث

مقدمة لصناعة مطهرات أكثر حيابة للبدن من الجروح الغائرة، كمطهر "ميو وفيسيدين" الذي لا يزال تصنيعه يعتمد على أبحاث ابن حيان في تطهير الجروح. وهي الأبحاث التي اعتمدت المزوجة بين العناصر الثلاثة "اليود، والسوليفات، والتترات" في تضييد الجروح وتخفيف آلامها.

كانت "البيطرة" أساسًا من أساسيات العمل في تلك المارستانات (المشافي العامة)، التي أنشأتها الدول الإسلامية منذ عهد الدولة العباسية. وكان في كل من تلك المستشفيات قسم لترييب الأدوية. ويذكر "ابن أبي أصيبعة" صاحب "طبقات الأطباء"، أن "مارستان بغداد" الذي أنشأه "أبو جعفر المنصور"، كان يحوي قسمًا للبيطرة يحوي من المطهرات أكثر من مئة صنف، وأن الشبة والكلور ومستحضرات اليود وسوليفات المغنيسيوم، كانت العناصر الأكثر استخدامًا فيما يتعلق بتطهير الجروح وعلاج الحالات الطارئة، كالجروح الغائرة الناجمة عن الحوادث الفجائية. وأضاف صاحب الطبقات، أن مارستان بغداد الكبير، كان يسع في زمن "هارون الرشيد" ٢٣٠ سريرًا، وأنه كان يحوي أيضًا قسمًا لعلاج الهلوس والضلالات، التي كان الطبيب الفذ "أبو بكر محمد الرازي" قد شخص أكثر حالاتها شيوعًا، ك"الماليخوليا، والوساوس القهرية". ومن العجيب أن "الرازي" قد طور عقاقير مهدئة لكثير من الحالات النفسية المُستعصية. وكان إطراره العلاجي لتلك الحالات، قد أفاد كثيرًا من تطويرات جابر بن حيان. حيث اعتبر ابن حيان، أن عنصر البروم يعد ناجعًا في ارتخاء أعصاب المخ والبدن على السواء. وكان "الفخر الرازي" قد طور على أساس من أصالة أبحاث ابن حيان المادة المركبة من ثمانية عناصر طبيعية، وهي مادة "الأيدرو برومو سوليفيم البوتاسيوم"، وهي التي لا تزال مُعتمَدة حتى اليوم في علاج الكثير من أعراض الفصام والذهان الهذيان (البارانويا)، أكثر الأمراض العقلية شيوعًا حتى يومنا هذا. وكانت تلك المادة التي ركبها ذلك الطبيب النابغة تحوي من الخصائص العلاجية ما جعل العلماء يحثرون في ميزاتنا العلاجية حتى اليوم، حيث إن تلك المادة تفيد في ارتخاء أعصاب

المخ، وتنشيط إشارات المخ العصبية، بل وتنظيم توازُد الإشارات المخية، بما يؤدي لتيسير علاج كثير من الحالات النفسية والعصبية المستعصية. ويكفي للتدليل على أصالة ونوغ "الرازي" في علاج الأمراض النفسية المستعصية، اكتشافه لتلك المادة السالفة الذكر، التي لا تزال العلاج المعتمد لأكثر من عشرين حالة فصامية مستعصية في وقتنا الحاضر.

إن اجتهادات البيطرة المسلمين في صناعة الدواء، كانت تنبع من شموليتهم المعرفية؛ حيث كان "ابن حيان" كيميائيًا وبيطارًا منعدم النظر، وكان "أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي" جراحًا وضع أصول الجراحة وبيطارًا في آن واحد، مثلما كان "أبو بكر الرازي" طبيبًا ومُعالجًا نفسيًا وبيطارًا مع كل ذلك. وكان نوغهم في البيطرة التي هي الصيدلة، قاسمًا مشتركًا في نجاح أبحاثهم الطبية التي شكلت أساس صنعة الطب في بلاد الإسلام. وهي الصنعة التي ازدهرت في مصر على عهد الفاطميين، حيث كانت مكتبة قصر الخليفة الفاطمي في القاهرة، تحوي ستة آلاف كتاب في العلوم الطبية. وكانت الحضارة الإسلامية بوجه عام، قد زاوجت بين مجموع العلوم الداخلة في البحث في الجسم البشري، التي ربت على ١٢ علمًا هي حسب المسمى العربي/ الطبي: علم الطب الباطني، وعلم أمراض المعدة، وعلم وظائف الأعضاء (وكان المسلمون يسمونه قديمًا بعلم حركة البدن)، وعلم أمراض النفس، وعلم العين، وعلم سوائل البدن (الغدد)، وعلم حركة الأطراف (الأعصاب)، وعلم الدم الذي أسسه العالم "ابن النفيس"، وعلم خوارج البدن (الغدد الليمفاوية والأورام)، وعلم الحواس (طب الأنف والأذن والحنجرة)، وعلم تقنيّات البدن (الأمراض الجلدية)، وعلم المُخرجات (أمراض الكلى والمثانة). ■

© كاتب وباحث مصري.

المراجع

(١) "الخمائر الصغيرة" والخواص"، لـ"جابر بن حيان".

(٢) "الحاوي في الطب"، لـ"أبي بكر الرازي".

(٣) "طبقات الأطباء"، لـ"ابن أبي أصيبعة".





## الإدارة النبوية في توزيع المهام

في ظل ما أحدثته كثير من التيارات الفكرية المعاصرة من الإغراق المخل في قراءة السيرة النبوية، واختزالها في المنهج الحركي المتمثل في الحروب، والغزوات، والسيوف، والقتل، والدماء.. تسبب في هجر الأبعاد الحضارية للسيرة النبوية العطرة، وتضييع الفرص في التعامل مع سيرة النبي ﷺ والاستفادة منها؛ كان ينبغي أن نعرض ميادين السيرة المباركة منهجاً للنهضة والحضارة، وطريقاً للبناء والعمران، ونموذجاً للتعايش والتكامل، ومثالاً للبحث والاكتشاف، وعنواناً

في

كانت الخبرة هي العبرة، والاختيار أساسه المقدره وحسن القرار، وعلى ذلك الأساس اتخذ النبي ﷺ وزراه وشعراءه، ومؤذنيه وخطباءه، وكتّابه وأمناءه، وخدمه ومواليه، وقواده وحواريه.

حذاء

الشريفة وتولد الخبرات من ناحية أخرى. وهي أعلى فنون الإدارة، وأرقى درجات النجاح والتقدم، وكما يقول الشاعر العربي:

إذا كنت في حاجة مُرسلاً\*\*\* فأرسل حَكِيمًا ولا تُوصِه  
كانت الخبرة هي العبرة، والاختيار أساسه المقدره  
وحسن القرار، وعلى ذلك الأساس اتخذ النبي ﷺ  
وزراه وشعراءه، ومؤذنيه وخطباءه، وكتّابه وأمناءه،  
وخدمه ومواليه، وقواده وحواريه، حتى إنه ﷺ عندما  
احتاج في هجرته من مكة إلى المدينة إلى دليل ماهر  
محترف يرافقه هو وصاحبه في هذه الرحلة الميمونة،  
اختار رجلاً خبيراً من بني الدليل، ثم من بني عبد بن  
عدي، وهذا الرجل لم يكن مسلماً.

وخص كل واحد من الكبار بفضيلة ووصفه بقدر  
زائد فيها على غيره. وبذلك كان الصحابة ﷺ علماء،  
كل منهم مخصوص بنوع من العلم، وخصلة من الخير؛  
فعلي بن أبي طالب ﷺ بالقضاء، وزيد بن ثابت ﷺ  
بالفرائض، ومعاذ بن جبل ﷺ بالحلال والحرام، وأبي  
بن كعب ﷺ بالقراءة، كما قال الإمام الزركشي في  
"البرهان في علوم القرآن".

وها هو عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما يتمنى من  
رسول الله ﷺ أن يُسند إليه مهمة الأذان، ولكن رسول  
الله ﷺ أسند هذه المهمة العظيمة إلى سيدنا بلال بن  
رباح ﷺ؛ فقد أخرج الحاكم في "المستدرک" عن عبد  
الله بن الزبير رضي الله عنهما، قال: وددت أن رسول  
الله ﷺ أعطاني النداء، قيل: ولم ذاك؟ قال: إنهم أطول  
الناس أعناقاً يوم القيامة.

فهذا الصحابي الكريم ﷺ علم ما في الأذان من منزلة

للتطور والإتقان. ومن ذلك، الإدارة النبوية في توزيع  
المهام وتنظيم التخصصات وفق الإمكانيات والقدرات  
والخبرات.

فالإدارة الناجحة هي التي تقدّر مجهودات أعضائها  
والمتتمين إليها، فتنتقي منهم أصحاب الخبرات،  
وتستقي منهم ذوي المهارات حسب تعدد المهام وتنوع  
التخصصات، والذي عليه يتم التكليف بإنجاز المهمات.  
ومما هو مقرر عند العلماء، أن الصحابة الكرام ﷺ  
تنوعت عندهم ميادين العطاء، وتعددت بهم دروب  
الاختصاص؛ فمنهم من برّع في الجهاد وملاقة الأعداء،  
ومنهم من اشتغل بالقراءة والإقراء، ومنهم من أحسن  
القضاء والإفتاء، ومنهم من اشتغل بالمدارسة، ومنهم  
من اشتغل بالتوجيه والتربية، ومنهم من برّع في التجارة  
والاقتصاد، ومنهم من برّع في الإدارة واتخاذ القرارات..  
وقد أبلى كلٌّ منهم في ميدانه بلاءً حسناً، وأبدع فيه أيما  
إبداع، وحفظ وبلغ أحسن ما يكون البلاغ. فكانوا مثلاً  
يحتذى في الإتقان وحسن التصرف، والدقة والتحري  
في شتى الفنون والأعمال، فشكّلوا منظومة متكاملة من  
التميز والاختصاص قامت على أوتادها الدولة، ونهض  
على أساسها المشروع الإسلامي بأكمله.

وكان النبي ﷺ يوزّع المهام بين أصحابه على وفق  
مهاراتهم واستعداد كل منهم في القيام بها على الوجه  
الأمثل، حتى يصير هو الأفضل في مهمته والأجدر  
بالقيام بها. ولذلك جوّز العلماء أن يقال لمن أحسن  
القيام بهذه المهام، إنه أفضل الناس في ذلك المعنى،  
وإن كان هناك من هو مثله أو من هو أفضل منه. ومن  
جلّت رتبته في معنى من المعاني، جاز أن يقال إنه أفضل  
الناس في ذلك المعنى، وإن كان فيهم من هو مثله أو من  
هو فوّه كما قال الإمام أبو جعفر الطحاوي.

وقد أراد النبي ﷺ بذلك الانتقاء، أن يزرع في  
أصحابه معنى الاختصاص والعمل المنظم، وأن  
توزّع الأدوار على الأفراد وفق ما يمتلك كلٌّ منهم من  
تخصص وقدرات، وما يُحسنه من خبرات ومهارات،  
فيحصل التكامل والانسجام من ناحية، وتبرز المنافسات

عظيمة ومكانة جليلة، بما جعله يرنو في نيل شرف القيام به، إلا أن رسول الله ﷺ عدّه صنعة خاصة وعملاً نوعياً، لا يُبدل إلا لمن يمتلك آلياته ويُحسن أدواته فكان سيدنا بلال بن رباح ؓ، وهو أول من أذن لرسول الله ﷺ. ثم كان لرسول الله ﷺ بعد ذلك أربعة مؤذنين، اثنان بالمدينة - وهما بلال بن رباح، وعبد الله بن أم مكتوم القرشي العامري الأعمى رضي الله عنهما - وبُقاء سعد القرظ مولى عمار بن ياسر رضي الله عنهما، وبمكة أبو محذورة ؓ، واسمه أوس بن مغيرة الجمحي.

وفي مجال استقراء القرآن الكريم ومدارسته، اختار النبي ﷺ المنوط بهم هذه المهمة الجليلة، وبيّن أنه ينبغي للناس أن يستقرئوا القرآن منهم، فيقول: "استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل". واختار النبي ﷺ سيدنا علي بن أبي طالب ؓ لشؤون القضاء، وقد كان عمر بن الخطاب ؓ يقول: "أفضانا عليّ".

وفي مجال الفقه ومعرفة الحلال والحرام، كان الصحابي الجليل معاذ بن جبل ؓ، أحد الذين يفتون في عهد الرسول ﷺ، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يجتمعون حوله ليتعلموا منه الحلال والحرام. وقد صحّ عن عمر الفاروق أنه قال: "من أراد الفقه فليأت معاذ بن جبل"، وقال في حقه أيضاً: "عجزت النساء أن يلدن مثله، ولولاه لهلك عمر".

وفي مجال الترجمة وعلم الفرائض، يأتي سيدنا زيد بن ثابت ؓ، فقال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم السريانية، وأن أتعلم له كلمات من كتاب يهود، قال ﷺ: "إني والله ما آمن يهود على كتاب"، قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له، قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليهم قرأت له كتابهم. فأظهر زيد بن ثابت ؓ بذلك مهارة عالية ودقة متميزة وجدارة بالغة، فتعلّم العبرية في نصف شهر، والسريانية في ١٧ يوماً، والفارسية في ١٨ يوماً.

وفي مجال الأمانة العامة للدولة، يأتي الصحابي الجليل أبو عبيدة عامر بن الجراح ؓ، فيقول رسول

الله ﷺ: "إن لكل أمة أميناً، وإن أميننا - أيها الأمة - أبو عبيدة بن الجراح، ويقول: "لأبعثن معكم رجلاً أميناً، حق أمين" (رواه البخاري).

وفي مجال العلاقات الخارجية، اختار النبي ﷺ بعض أصحابه المتميزين الجديرين بهذه المهمة؛ كدحية بن خليفة الكلبي، وعبد الله بن حذافة السهمي، وحاطب بن أبي بلتعة، وعمرو بن أمية الضمري، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم أجمعين.

واختار لرئيس الشرطة، الصحابي الجليل قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ؓ؛ فعن أنس بن مالك ؓ قال: "إن قيس بن سعد كان يكون بين يدي النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشُرط من الأمير".

واختار لأمانة سر المراسلات، الصحابي معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي ؓ، فيحدثُ ياسر بن الحارث بن المعيقب عن جده، قال: "كان خاتم رسول الله محمد ﷺ من حديد ملوي، بفضة، وكان المعيقب على خاتم رسول الله ﷺ".

واختار المتحدث الرسمي لرئيس الدولة، الصحابي ثابت بن قيس بن شماس ؓ، يتكلم نيابة عن النبي ﷺ؛ فحين جاء مسيلمة الكذاب إلى المدينة المنورة، فأتاه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وهو الذي يقال له "خطيب رسول الله ﷺ"، وفي يد رسول الله ﷺ قضيب، فوقف عليه فكلمه، فقال له مسيلمة: إن شئت خليت بيننا وبين الأمر، ثم جعلته لنا بعدك، فقال النبي ﷺ: "لو سألتني هذا القضيب ما أعطيتكه، وإنني لأراك الذي أريت فيه ما أريت، وهذا ثابت بن قيس، وسيجيبك عني".

إلى غير ذلك من التخصصات العامة والخاصة، التي كان يختار النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها أبرز الموجودين وأوفرهم مهارة لها وحسن قيام بها. فقامت بذلك الدولة، وتأسس المجتمع الإسلامي، وساد السلام وعمّ الأمان، ودخل الناس في دين الله أفواجا. ■

(\*) دكتوراه في الفلسفة الإسلامية والتصوف / مصر.



## دور الذكاء الاصطناعي في خدمة الإنترنت

لقد ارتفعت بوابات الإنترنت على غرار ياهو العجوز، وفايرفوكس، وألكسا، وميجاتولبار، وموزيلا، وأوبرا، بمواصفات محرك البحث الخاص بها نحو أعلى المستويات، بالإشارة الخاصة إلى البوابة الشهيرة "جوجل". والآن يشير عدد من تقني المعلوماتية، إلى إمكانات تطوير أدوات جديدة تعتمد على نظام الذكاء الاصطناعي بشكل غير مسبوق للبحث عن كافة المعلومات، حيث إن الإمكانيات المتوفرة حاليًا في تحليل الوثائق الإلكترونية





المخزنة على الشبكة العنكبوتية، وفي تطوير عملية المعالجة الإلكترونية السريعة للنصوص والصور والملفات السمعية والبصرية، لا تبدو كافية لتأمين حاجتنا الماسة في هذا العصر للبحث عن الإنترنت.

يسعى الاتجاه إلى خدمة أدوات البحث بنظم الذكاء الاصطناعي، إلى رؤية منجزات جديدة تعبر الجسر الذي يزعمون بناءه بين الإدراك البشري ودقة الآلة، مما سوف يتيح لنا -مثلاً- التعرف بسرعة على التيمة الأساسية في رواية بعينها، بدلاً من البحث في قوائم الأسماء والعناوين بمحركات البحث الأصغر وإعطاء نتائج جافة مهما بلغ ثراؤها، أو على قائمة بأسماء مفكرين ناقشوا فلسفة قديمة خلال السنوات الخمس الأخيرة، أو إمكانية استيعاب وشرح الإستراتيجية الكاملة لدور شطرنج من أوله إلى آخره، بدلاً من النقلات المفردة التكتيكية القائمة في الأساس على الانتقاء من بين احتمالات.

وتتمتع نظم الذكاء الاصطناعي بسمات تقربها من فهم اللغة الإدراكية التلقائية، وبخاصية تعرفها على الأشياء، وتعلمها المتواصل عبر التكرار الإحصائي للإشارات الداخلة إليها، وبهذا فإنها توفر إمكانات أكبر من محركات البحث الحالية. يقول "ألين رابوبورت" رئيس شركة طورت محرك بحث -هو "ميدستوري"- يختص أساساً في البحث عن المصطلحات الطبية، ومراجع الأمراض والتشخيص والعلاج في مجال الطب البشري: "إن هذه التطويرات ليست سوى بدائل لتحويل الشبكة العنكبوتية إلى أداة لخدمة المتصفحين، خدمة ذكية دقيقة، وتخليصهم من المهمات المرهقة المتعلقة بالبحث عن البيانات".

وعرضت الشركة أسهمها في السوق شهر يوليو عام ٢٠٠٦، ونقل موقع "سي نت" الإلكتروني عن "رابوبورت" أن ازدياد كمية المعلومات على الشبكة المعلوماتية بوتيرة هائلة، يتطلب بل ويجبر المصممين على تطوير نظم ذكية للتغلب عن المعارف بأداء عالي الكفاءة، و"ميدستوري" ليس هو التصميم الوحيد للمحركات الذكية على الشبكة العنكبوتية، إذ بدأت شركات ناشئة بالخوض في هذا

hiragate.com

المضمار بالفعل، مثل شركتي "باورسيت" و"ريا". وفي الغالب، فإن ما يحدث هو أن محرك البحث الحالي، يرى كل الشبكة العنكبوتية كهيئة أو كتكتلة مليئة بالكلمات المحشورة في مليارات الصفحات سوية مع صلاتها مع إخوتها بالشبكة العنكبوتية التي تربطها ببعض الآخر. وتجسدت إحدى مزايا محرك "جوجل" التي أدت إلى نجاحه، في كفاءته في الربط بين الكلمات، وتحديد علاقة الكلمة في النصوص، وقربها من الكلمة التي يبحث عنها، إضافة إلى عدد الوصلات الإنترنتية التي تشير إلى الصفحة، أي مدى شعبيتها.

كلنا نعرف أن محركات البحث لا تفهم معاني الكلمات، إذ تفتقد إلى الإدراك البشري الذي وإن كان قاصراً على إجراء جهد البحث بنفسه في غابة البيانات العنكبوتية العملاقة، إلا أنه يظل متفرداً بقدرته على ربط المفردات، وحذف الزوائد، واستنطاق المعاني.. هذه المحركات مبرمجة فقط لمقارنة الكلمات في ما بينها للتعرف على مدى تطابقها، ولذلك فعندما يطلب



تتمتع نظم الذكاء الاصطناعي بسماتٍ تقربها من فهم اللغة الإدراكية التلقائية، وبخاصية تعرفها على الأشياء وتعلمها المتواصل عبر التكرار الإحصائي للإشارات الداخلة إليها، وبهذا توفر إمكانيات أكبر من محركات البحث الحالية.

حذاء

في بالو ألتو في ولاية كاليفورنيا الأمريكية، الذي صمم محرك بحث بنظام للذكاء الاصطناعي: "إن مشكلة محركات البحث، اهتمامها بالكلمات، ولذلك فهي تحاول ترويض الإنسان وتدريبه على اختيار كلمات البحث فقط، وبذلك فهي تضغط بقوة على ذكاء الإنسان، كي يتمكن الكمبيوتر من فهم "اللغة التلقائية" لهذه المحركات.

إن التحول الكبير في المجتمع، سيقع عندما تتطور قدرات الكمبيوتر نحو التعامل مع التعابير الطبيعية للإنسان، بدلاً من تحويل تعابيرها إلى ما هو سهل للكمبيوتر كما هو الحال اليوم، ولن يعكف محرك بحث "باورسيت" على تدريب الكمبيوترات على قراءة الكلمات فحسب، بل الربط بين الكلمات ووضع الاستنتاجات حولها. وبهذا الأسلوب فإن المحرك يمكنه التفكير، ثم إعادة تجديد العلاقة الرابطة بين الكلمات، للعثور عليها خارج صفحات الشبكة العنكبوتية الأكثر شعبية، وخارج المواقع الإلكترونية التي تردح بهذه الكلمات التي تظهر عادة في مقدمة قائمة نتائج البحث. التحدي القادم وفقاً لـ "إيستر دايسون" التي ساهمت في استثمار "باورسيت"، سوف يتمثل في التعرف على كل شيء آخر على الشبكة العنكبوتية عدا الكلمات.. والعثور عليه، مثل العثور على وصف معين لأحداث.. وعلى حبكة القصة أو إستراتيجية الشطرنج في دور معين أو للاعب بالاسم.

والمشكلة الضخمة التي تواجه إنتاج محركات بتقنية الذكاء الاصطناعي على نطاق واسع، أنها تحتاج إلى قدرات حسابية عالية، ولذلك تكون مكلفة من الناحية الاقتصادية، إلا أن الإعلانات قد تشكل حلاً لهذا،



hiragate.com

أحد المتصفحين -مثلاً- عبارة "الطرق الصوفية"، فإنه سيرسل محرك البحث للركض وراء كل واحدة من كلمتي العبارة "الطرق" و"الصوفية" بدلاً من البحث عن المعنى المقصود نفسه، وبالتالي سوف تظهر لك نتائج، مثل الطرق السريعة، الطرق الجبلية الوعرة، طرق تحضير الكعك، المنسوجات الصوفية، حيوانات الماموث الصوفية المنقرضة.. ونتائج محدودة جداً زائدة على الموضوع الذي تبحث عنه بالذات.

لذلك -وكتيجة مباشرة- فإن محركات البحث لا تستطيع التقاط سمات اللغة البشرية. مثلاً إن طلبت من محرك "جوجل" أن يبحث لك عن المؤلف "ستيفن كينج"، أو التي تتحدث عن ملوك "ملك"، والبحث عن الكتب التي كتبت عن أمريكا بإدخال عبارة "كتب عن أمريكا"، فإنه قد يبحث عن كلمتي "كتب" و"أمريكا". وبالتالي فإن نتائج بحثه تتقارب من نتائج البحث عن عبارة "كتب أمريكا" أو "كتب من (أو إلى) أمريكا".

يقول "بارني بيل" رئيس شركة "باورسيت" ومقرها





خصوصاً أن نجاح بوابة "جوجل" رفع قيمتها إلى ٦ مليارات دولار سنوياً. ومن ثم فإن مصممي محركات البحث الذكية، يتوجهون نحو مجالات محددة، مثل المجال الطبي الذي يعمل فيه محرك "ميدستوري"، أو تطوير محركات ذكية خاصة بقطاع الأعمال، أو بميدان التسلية أو الترفيه، لأن كلفتها الاقتصادية أقل.

يقول "رابوبورت": "إن التطورات الحديثة في الذكاء الاصطناعي، تسهل التحول من الاعتماد على الإنسان في الربط بين مختلف البيانات، إلى الاعتماد على المحرك في قيامه ببرمجة الكمبيوتر لتنفيذ هذه العملية". أي التحول إلى عملية "هيكلية المعرفة".

ويشير توم ميتشيل رئيس قسم تعليم الآلات في جامعة "كارنيجي ميلون" الأمريكية، إلى أن الحواسيب الآلية تتعلم بواسطة نظم الذكاء الاصطناعي معالجة اللغة إحصائياً، أو تتعلم مبادئ البرمجة التي تمكنها من قراءة النصوص.

يعتمد محرك "ميدستوري" الطبي الذكي في عمله، على الربط بين الأجزاء الثمينة من المعلومات في صفحات متناثرة على الشبكة العنكبوتية، مثل ربط وثيقة حول أعراض داء السكري بوثيقة أخرى لتحليل عملية علاج ذلك المرض بعقار محدد.

ابحث -مثلاً- عن تعبير "تصلب الشرايين"، عند ذاك ستأتيك النتائج بقائمة تحتوي على مواضيع حول

العقاقير، والأعراض، والغذاء الخاصة بهذه الحالة.. وداخل كل من المواضيع الرئيسية لتلك النتائج، توجد مواضيع فرعية تشمل قائمة بغالبية العقاقير المتوفرة، وقائمة بالأغذية والمكملات الغذائية والموانع، مثل السجائر والدهن الذي يمكن وضع مؤشر الشاشة عليه لإظهار وثائق جديدة حول مضاره الصحية.. إلخ.

وتقدم محركات البحث الذكية عروض نتائجها بشكل جذاب ومشوق. ومن بين المحركات الذكية المحرك الذي تطويره شركة "ريا"، ومقرها في "سان ميديو" في كاليفورنيا، الذي يبحث أيضاً في الصور؛ ويمكن للمتصفح من عرض صورة ما (مجموعة من أوراق اللعب مثلاً)، وطلب إظهار شيء مماثل له، ويقدم المحرك نتائجه بالصور، إضافة إلى المحلات والمتاجر التي يمكن الشراء منها. وحتى الآن ظل البحث عن الصور يجري بواسطة كتابة الكلمات الخاصة بمحتواها أو معناها.

أما محرك "ريا" فإنه يطلب البحث بالصورة، ثم يقوم بالتدقيق فيها، بحثاً عن بياناتها واعتماداً على نظم الذكاء الاصطناعي داخله، وبعد استخلاص "التوقيع الرقمي" للصورة، تجري عملية مقارنة له مع مثيله في الصور الأخرى.

وتتيح هذه التطويرات في تقنيات الذكاء الاصطناعي، إنتاج نظم "الرؤية المعلوماتية" يمكن للحاسب الآلي التعرف بواسطتها على ملامح الوجه مباشرة أو من تفاصيل الصورة. واستعمال هذا الذكاء فيه تحديات مستقبلية أكثر تعقيداً، مثل ترجمة نص أدبي، أو تأليف نص أصيل، أو رسم لوحة فنية بأسلوب رسام شهير، أو صنع أقلام لفنانين راحلين، أو نقد وتحليل خطة حربية. ■

(\*) متخصصة في مجال التربية النفسية والسلوكية / مصر.

#### المراجع

(١) رهانات الإنترنت، العلوي شوقي، بيروت، المؤسسة التعليمية للدراسات والنشر والتوزيع ٢٠٠٦م.

(٢) المعلوماتية مواجهة تاريخية جديدة، عياش مرتضى.

(٣) المكتبات الرقمية على الإنترنت، لينة ملكاوي، مجلة هاي

(HI)، إبريل ٢٠٠٥م.



## بريق الابتسامة

هل تعلم أن الابتسامة لها فعل السحر في العقول؟ وهل تعلم أن الابتسامة أصبحت علمًا يدرس وفنًا يمارس لتحسين العلاقات الاجتماعية وتنمية الجوانب الاقتصادية والدبلوماسية؟ وهل تعلم أنه تم الاعتراف بالابتسامة كعلم في بداية القرن العشرين وسمي بـ"علم نفس الضحك"؟ لا شيء يعادل الابتسامة المشرقة، فهي سر من أسرار الجاذبية، وطريق مختصر للتجاذب بين القلوب. الابتسامة هي لغة اللطف العالمية، إنها نور

هـ



hiragate.com

التي تغطي الوجه بأكمله، وتجعل صاحبها قريبة إلى قلب كل من شاهدها. وحتى الآن ما زال الناس مندهشين بتلك الابتسامة التي نقلها "دافنشي" بصدق. في كتابه "إيجابية السعادة" لـ "شون أكور"، يذكر الكاتب "أنه عندما تصبح الابتسامة جزءاً من حياتنا اليومية، فإننا نساعد أدمغتنا لخلق مساحات استمتاع للتفكير بإيجابية أكثر". وفي كتابها "أسرار خلايا جسمك" تذكر الكاتبة "ساندرا بارت"، أن خلايا الجسم تستطيع معرفة إن كان الإنسان في وضع راحة أو عدمها، فهي تستطيع التعامل مع حالتك الراهنة، وتقوم بتصحيح الخلل، وتبني نوعاً من التوازن في الجسم، فابتساماتنا تلين من جمود وصلابة خلايانا، مما يمنح لأعصابنا بعض الراحة.

### دراسات وإحصائيات

أثبتت الدراسات الحديثة أن حاجة الإنسان للابتسامة تضاهي حاجته للطعام والشراب؛ فالابتسامة تسمح لآلاف الخلايا الدماغية أن تتحرر وتتعش، وتسمح للشبكة العصبية المسؤولة عن ضخ الدم من القلب إلى الشعيرات الدموية في الوجنتين أن تتشط، وبهذا تتورد وجنة المبتسم أكثر من غيره، بينما يحتقن الدم في وجه الغاضب. أكد العالم النفساني "روبرت زاجونك"، أن جريان الدم أثناء الحزن والغضب، لا يمنع وصول الأوكسجين إلى الدماغ وحسب، وإنما يولد عدم توازن كيميائي من خلال منع وصول رسائل هرمونية حيوية. وهناك تفسير علمي لهذه الظاهرة بحسب رأي طبيب علم الأعصاب "ماركو لوكابوني"، إذ يقول: "نحن جميعاً لدينا ما يسمى "مرايا عصبية" في أدمغتنا، تتفاعل عندما نقوم بأمر ما، ومنها الابتسامة، أو عندما نشاهد أناساً آخرين يبتسمون، فعند الابتسام، تستنفر المرايا العصبية، وتقوم أعصاب الوجه بنشاطات حركية تربطها بالابتسامة. الابتسامة تحفظ الدماغ في حالة من الارتياح، في حين أن الدماغ يميل طبيعياً للتفكير بشكل سلبي كنوع من الدفاع عن الذات. فالابتسامات المتكررة تمنح الشخص مشاعر الارتياح على تعابير وجهه فتفرج أساريره.

في دراسة إحصائية أجريت في جامعة كاليفورنيا عام ٢٠١٣، تبين بأن الناس السعداء الذين يبتسمون دائماً، كان

النهار للإنسان المُحبط، ونور الشمس للإنسان الحزين. الابتسامة تعبّر أكثر من الكلمات المنطوقة. الابتسامة وقود الحياة ونورها، وبدونها لا لَوْن لها ولا طعم، بل إن الابتسامة عنوان للحياة السعيدة. ولو أردنا أن نرسم الحياة بكل جمالها، لكفانا من كل ذلك أن نرسم ابتسامة. يقول الرسول ﷺ: "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق" (رواه مسلم). ويقول المثل الصيني: إن الذي لا يحسن الابتسامة لا ينبغي له أن يفتح متجرّاً. فالابتسامة الصادقة النابعة من شغاف القلب تفعل فعل السحر وتجذب كالمغناطيس، وهي التي تزيد الوجه رونقاً وبهاء، لا الابتسامة المصطنعة التي تخفي وراءها الكيد والمكر.

الابتسامة الحقيقية لا تصنعها الشفتان، وإنما يشارك في صنعها كل جزء وكل زاوية من أجزاء وزوايا الوجه؛ فالعينان تشعان ببريق غريب، وملامح الوجه بأكمله تبدو أكثر إشراقاً.. وعندما تكون الابتسامة نابعة من القلب، يشارك فيها الأنف والوجنتان، وحتى الشعر، ويكون دور الشفاه هو الأقل في ذلك. فعندما جلست "موناليزا" أمام "ليوناردو دافنشي" ليرسمها، وابتسمت تلك الابتسامة التي لا تزال تسحر الناس منذ خمسة قرون، لم تصنع ابتسامتها الشفتان، فقد ظلت الشفتان مغلقتين، وكانت الابتسامة هي تلك المسحة السحرية



**السعادة تساعد على تخفيف ضغط الدم، وتنشط الدورة الدموية، وتزيد من مناعة الجسم، وتساعد المخ على الاحتفاظ بكمية كافية من الأوكسجين، ولها آثار إيجابية على وظيفة القلب والبطن والمخ، وتؤخر عوارض الشيخوخة.**

حذاء

الإنسان يحتوي على حوالي ٨٠ عضلة، وعندما يغضب وترتسم علامات الانفعال على وجهه، فإن معظم هذه العضلات تشارك في هذا الانفعال، لكن الشيء اللافت للانتباه أن الابتسامة لا تكلف عضلات الوجه أي طاقة تذكر، لأن عددًا قليلاً من العضلات يشارك فيها. ومن هنا استنتج علماء النفس، أن تكرار الابتسامة يريح الإنسان ويجعله أكثر استقرارًا، بل إنهم وجدوا أن هذه الابتسامة تقلل من حالة الاكتئاب التي يمر بها الإنسان أحيانًا. يقول علماء البرمجة اللغوية العصبية، إن أحد أساليب النجاح الأقل كلفة، هي الابتسامة؛ فالإنسان الذي يتبسم في وجه من حوله، يمنحهم شعورًا بالأطمئنان ويزيل الحواجز بينه وبينهم، وبعبارة أخرى، فإن تكرار الابتسامة يكسب الآخرين الثقة بهذا الشخص المبتسم. الابتسامة هي المفتاح الأول لكل القلوب المغلقة،

لديهم منهجية أشمل في معالجة المشاكل بطريقة خلاقة، إذ زادت قدرتهم على التفكير بخيارات أكثر من الذين لم يتسموا، وسبب ذلك أن مادة الدوبامين التي يفرزها الدماغ، تساعد الإنسان في عملية التعلم وأخذ القرار. وفي دراسة أجريت عام ٢٠٠٤، على موظفين يعملون بتماس مباشر مع الزبائن، تبين أن ابتسامات الموظفين، تركت أثرًا إيجابيًا على الزبائن، كما أنها رفعت نسبة الإنتاجية عندهم، فاعتبر المسؤولون عنهم ابتسامتهم نوعًا من الكفاءة.

كذلك أُجريت دراسة على ١٧٠ شخصًا عام ٢٠١٢ في جامعة كنساس لتحديد فعل الابتسامة، وتبين أن الناس الذين ابتسموا أكثر من غيرهم، قد عرفوا انخفاضًا ملحوظًا في سرعة خفقان قلوبهم، مما يعني أن الابتسامة قد ساهمت في تخفيف الضغوطات على المبتسم.

كما أثبتت دراسة حديثة، بأن شعور المرء بالسعادة فيه العديد من الفوائد الطيبة، منها أنها تساعد على تخفيف ضغط الدم، وتنشط الدورة الدموية، وتزيد من مناعة الجسم، وتساعد المخ على الاحتفاظ بكمية كافية من الأوكسجين، ولها آثار إيجابية على وظيفة القلب والبطن والمخ، وتخفف من حموضة المعدة، وتزيد من إفرازات الغدد الصماء، وتؤخر عوارض الشيخوخة.. والسبب وراء ذلك بسيط للغاية؛ فإن السعداء من الناس يفرزون كميات قليلة من هرمونين رئيسيين للتوتر المضر بالصحة تسارع بشيخوخة كل عضو في جسم الإنسان.

وقد اعتبر العالم والخبير المعتمد في التنمية البشرية الدكتور "إبراهيم الفقي" -رحمه الله- الابتسامة الجميلة من أفضل وأرخص عمليات التجميل التي يمكن أن يقوم بها الإنسان بدون أي مخاطر أو ألم، بل وتعود عليه بالفائدة الصحية والنفسية.. إذن، فالابتسامة هي بمثابة كنز بداخلنا نمتلكه جميعنا، لكن أغلبنا لا يدرك مدى فاعليته وتأثيره على الآخرين.

إن تعهم الوجه (التكشير والتقطيب) يؤثر بشكل فعال في ظهور التجاعيد على الوجه ولا سيما حول العينين. فالابتسامة سلاح فعال ضد التجاعيد، أو على أقل تقدير، تؤثر في تأخير ظهور التجاعيد بسبب ارتخاء عضلات الوجه أثناء الابتسامة. لقد تبين للعلماء أن وجه

hiragate.com



والابتسامة إشراقة روح، وإطلالة نفس وصورة فؤاد، والابتسامة الحقيقية لا يمكن تزييفها، فهي كالذهب عبثاً يحاول المخادعون تقليده ولكن بريق الذهب ليس كأبي بريق.

### سحر الابتسامة

ابتسم ولا تجعل الابتسامة تفارق وجهك، لأنها تطيل العمر، وتفتح أبواب الرزق، وتجعل في وجهك القبول قبل طرح أفكارك، وتجعل من ملامحك لوحة فنية



hiragate.com

ساحرة يتوقف أمامها الجميع.. الحياة لا تستحق منا كل هذا العبوس، إنها قصيرة جداً فلنعشها بابتسامة، ونملاً حياتنا بالسعادة والتفاؤل والقبول.. ابتسامتك جواز سفرك للقلوب ولا تكلفك شيئاً.

كن مبتسماً دائماً.. فأنت لا تدري من سيقع في حب تلك الابتسامة، لأنها لغة موحدة يفهمها جميع البشر، ولباس موحد للجميع.. وهنا يكمن سحرها ومعجزتها، فهي لا تحتاج مترجماً ولا خياطاً ولا عارضات أزياء.. هي متاحة ومتوفرة لكل البشر، وهدفها السعادة والفرح والاحترام، إنها علاج للنفس والروح. وكم من الحواجز تحطمت على بريق الابتسامة التي بددت جبال المشاكل التي هي أشبه ما تكون بجبال ثلجية ما إن تلقاها حرارة الابتسامة إلا وسارعت بالانصهار والذوبان.

صفوة القول: إن الابتسامة في الوجوه عمل بسيط ويسير، غير مكلف ولا مجهد، لكن لها الأثر الكبير في نشر الألفة والمحبة بين الناس، وهي سُنَّة من سنن المرسلين، وصفة من صفات المؤمنين، وسِمَة نبيلة من سمات النبلاء، ولغة سامية من لغات الحضارة البشرية.. فهي أسرع طريق إلى القلوب، وأقرب باب إلى النفوس.. وهي من الخصال المتفق على استحسانها وامتداح صاحبها.. وقد فطر الله الخلق على محبة صاحب الوجه المشرق البسام. إن الابتسامة كالسحر، تبث الأمل في النفس، وتزيل الوحشة من جوفها، وترسم السعادة من جديد، وتحيي روح القلب.. فلم لا نرسمها دوماً على شفاهنا لنجتاز ما يعيقنا ويعثر طريقنا؟ الابتسامة هي أسلوب مهم للنجاح في الحياة، جَرَّب سحر الابتسامة عندما تتعرض لبعض المشاكل، وسترى أثر الابتسامة في ذلك. ■

(\*) استشاري في طب وجراحة العيون / مصر.

### المراجع

(1) حتى لا تكون كلا طريقك إلى التفوق والنجاح، عوض بن محمد القرني.

(2) ثلاثية النجاح: الطريق إلى النجاح من القرار الصحيح إلى لحظة التميز، محمد بنساسي.

(3) فن الابتسامة، شائع محمد الغيثي.

(4) العديد من مواقع الشبكة العنكبوتية.

# آيات الآفاق والأنفس مشترك إنساني

تكمُن أهمية هذا البحث التأصيلي في إبراز فوائد وثمار البحث والتفكير في آيات الآفاق والأنفس، والتي تعرف حديثًا بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة. وهي تعتبر مشتركًا إنسانيًا يمكن أن يكون مجالًا للحوار والتعاون بين المسلمين وغيرهم، ومن جانب آخر، منهجًا دعويًا يستخدمه العلماء والدعاة في دعوتهم إلى الله بالحكمة والجدال بالتي هي أحسن. إن الحقائق العلمية بصفة عامة، التي وردت أيضًا في

ت



آيات الآفاق والأنفس، تعتبر مشتركة إنسانياً من جهتين: الأولى من حيث النشأة؛ فقد تعاون العلماء -بتنوع أجناسهم وأديانهم وثقافتهم- عبر مئات السنين، حتى توصلوا إلى تلك الحقائق العلمية بالتفكير والبحث والتجارب. والثانية أن مخرجات هذه الحقائق العلمية يستفيد منها الناس عبر الأزمنة بتنوع أجناسهم وأديانهم وثقافتهم، وليست حكراً على أحد.

ولا شك فإن القرآن العظيم والسنة النبوية الصحيحة يؤكدان على هذا النهج العلمي ويدعوان إليه، وبخاصة من خلال لفت الأنظار إلى أهمية التفكير في خلق الإنسان وخلق الأكوان. فقد أشار القرآن الكريم إلى "آيات الآفاق والأنفس" في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣). إن من واجب العلماء والدعاة، أن يقوموا بتوظيف آيات الآفاق والأنفس في الدعوة إلى الله، لتحقيق أهداف معينة، من أهمها:

١- ليزداد الذين آمنوا إيماناً على إيمانهم.

٢- إقامة الحججة على المخالفين، وحتى يتبين لهم أن الإسلام هو الدين الحق.

٣- إظهار إمكانية الاستفادة من الإشارات العلمية التي وردت في القرآن والسنة، لتقديم العديد من الحلول لمشاكل البشرية في العصر الحديث، في مجال العلوم الكونية، وكذلك العلوم الإنسانية والاجتماعية.

### مفهوم الإعجاز العلمي

أشار القرآن الكريم إلى "آيات الآفاق والأنفس" في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣)، وفي العصر الحديث يتم استخدام مصطلح "الإعجاز العلمي" للتعبير عما ورد في القرآن الكريم تحت مسمى "آيات الآفاق والأنفس".

ويمكن أن نعرف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة أنه إنباء القرآن الكريم (أو السنة النبوية الصحيحة) بحقيقة علمية، ما كان لبشر وقت نزول القرآن (أو رواية الحديث النبوي) أن يعرف تلك الحقيقة، ثم جاء العلم الحديث ليكتشف ويظهر تلك الحقيقة العلمية،

ليشهد بصدق رسالة المصطفى ﷺ.

من التعريف السابق يمكن أن نخرج بثلاثة ضوابط أساسية، حتى يمكن أن نؤكد على وجود إعجاز علمي في آية قرآنية أو حديث نبوي صحيح، وهذه الضوابط هي:

١- لا بد من وجود نص معجز (أي آية قرآنية أو حديث نبوي صحيح)، فيخرج بذلك من هذا التعريف أقوال العلماء والمفسرين والفقهاء، بمعنى أن كلمة إعجاز، لا يوصف بها النص المعجز فقط، ولا يوصف بها أقوال البشر مهما بلغوا من علم.

٢- لا بد من وجود حقيقة علمية ذكرت في النص المعجز، فليس كل آية قرآنية أو حديث نبوي يحتوي على إشارة علمية.

٣- اكتشاف العلم الحديث لتلك الحقيقة واتفاق العلماء عليها، فيخرج بذلك من هذا التعريف النظريات والفرضيات، ففي دراسات وأبحاث الإعجاز العلمي لا نتعامل مطلقاً مع النظريات العلمية، التي يمكن أن تتغير أو تتبدل، ولكن نتعامل مع الحقائق العلمية التي أصبحت من الثوابت المؤكدة عند أهل كل علم وتخصص.

ولقد عبر القرآن الكريم عن "الحقيقة العلمية" بمصطلح "السنن" التي لا تتبدل ولا تتحول، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يُنظَرُونَ إِلَّا سُنةً الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر: ٤٣).

فعلى سبيل المثال، فإن الحركة الدائبة للأجرام السماوية في أفلاكها، أصبحت بمثابة حقيقة علمية مشاهدة ويقينية عند علماء الكون، وهو ما سبق وأن أشار إليه القرآن الكريم في أكثر من آية كريمة، منها قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: ٤٠).

### آيات الآفاق والأنفس مشترك إنساني

إن الآيات الأولى التي أنزلت على المصطفى ﷺ تدعو إلى القراءة والعلم والتعلم، حيث يقول الله ﷻ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: ١-٥). ولا شك أن قضية القراءة والتعلم

تعتبر من المشتركات الإنسانية التي لا خلاف عليها بين جميع المجتمعات الإنسانية.

كما أشار القرآن الكريم إلى أهمية التفكير في خلق الكون في عدة مواضع بالقرآن الكريم، من أهمها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ \* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (آل عمران: ١٩٠-١٩١).

إن قضية التفكير في خلق السماوات والأرض، قدمها القرآن الكريم كأحد أهم أنواع العبادة في الإسلام، ومن جانب آخر فإن هذا التفكير والتدبر، يؤدي إلى اكتشاف القوانين والسنن الكونية التي ترتقي بالحياة الإنسانية في كل زمان ومكان.

لقد استخدم القرآن الكريم في بعض الأحيان أسلوب الحوار المباشر مع المخالفين، حتى يلفت أنظارهم لبعض الحقائق العلمية والكونية، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٠).

إن المنهج القرآني يتخذ من الحوار حول الحقائق العلمية والكونية، أسلوبًا لهداية الإنسانية لخالق هذا الكون الرحيب، وكذلك التعرف على كيفية نشأة الكون. كما أن القرآن الكريم قد أوضح لكل البشر، المنهج والأسلوب الصحيح لفهم واكتشاف الحقائق العلمية، عن طريق التنبيه والتأكيد على التفكير في كيفية الخلق وعاقبة الأمم الغابرة، ومن نماذج ذلك:

يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ \* وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ \* وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ \* وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (الغاشية: ١٧-٢٠). كما يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ (الفرقان: ٤٥).

ويتأكد نفس المطلب القرآني في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت: ٢٠).

توظيف آيات الآفاق والأنفس في الدعوة إلى الله إذا كانت الإشارات العلمية الواردة في العديد من

إن الحركة الدائبة للأجرام السماوية في أفلاكها، أصبحت بمثابة حقيقة علمية مشاهدة ويقينية عند علماء الكون، وهو ما سبق وأن أشار إليه القرآن الكريم في أكثر من آية كريمة.

حراه

الآيات القرآنية وبعض الأحاديث النبوية الصحيحة مشتركة إنسانياً كما أشرنا، حيث إن الحقائق العلمية لا يمكن أن يختلف عليها الناس على اختلاف معتقداتهم أو ثقافتهم، فإنها من جانب آخر، تعتبر منهجاً دعويًا لا بد للعلماء والدعاة من استثماره والاستفادة منه، حيث إن توظيف آيات الآفاق والأنفس في الدعوة إلى الله، يمكن أن يكون من فوائده ما يلي:

١- ليزداد الذين آمنوا إيماناً على إيمانهم: إن تدبر العديد من الآيات القرآنية، يوضح لنا أهمية رؤية آيات الآفاق والأنفس في زيادة إيمان الذين آمنوا، وعلى رأسهم الأنبياء. فها نحن نجد أن الله يخبرنا في محكم آياته، أن الوصول لمرحلة اليقين، أي الإيمان الثابت الراسخ الذي لا يتزعزع، يكون عن طريق رؤية ملكوت السماوات والأرض، كما حدث مع سيدنا إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، حيث يقول المولى ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام: ٧٥)، وفي الآية الكريمة ربط مباشر ما بين رؤية آيات الآفاق في السموات والأرض، والوصول لمرحلة اليقين.

وفي موضع آخر، ينبهنا المولى ﷺ إلى العلاقة المباشرة ما بين توقيره وتعظيمه، وبين التفكير في مراحل خلق الإنسان، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا \* وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (نوح: ١٣-١٤).

٢- حتى يتبين للمخالفين أنه الحق: وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ \* أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ (فصلت: ٥٣-٥٤). يقول الطبري في

تفسيره: "يقول تعالى في ذكره: سنري هؤلاء المكذبين ما أنزلنا على محمد عبدنا من الذكر، آياتنا في الآفاق"، وكل ذلك من أجل إقامة الحجّة عليهم وليستين لهم أن ما أنزل على محمد ﷺ هو الحق.

وهذا يوضح أهمية توظيف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، لدعوة المخالفين وغير المؤمنين، لإقامة حوار علمي معهم لعلهم يهتدون لطريق الحق، وإن لم يهتدوا فقد أقيمت عليهم الحجّة الدامغة.

### نموذج تطبيقي من السنة النبوية

أجبرت جائحة "كوفيد-١٩" الحكومات ومصادر الأخبار، على تقديم النصائح الأكثر دقة وإفادة لسكان العالم، حيث إن المرض منتشر عالمياً بالفعل، ويزداد الطلب على المتخصصين في الرعاية الصحية، وكذلك العلماء الذين يدرسون انتقال وتأثير الأوبئة.

يقول خبراء، مثل عالم المناعة الدكتور الأمريكي "أنتوني فوسي"، والمراسل الطبي الدكتور "سانجاي جوبتا"، بأن النظافة الجيدة والحجر الصحي، أو ممارسة العزلة عن الآخرين على أمل منع انتشار الأمراض المعدية، هي أكثر الأدوات فعالية لاحتواء "كوفيد-١٩"، ثم يتساءلون: هل تعرفون من اقترح أيضاً النظافة الجيدة والحجر الصحي أثناء الجائحة؟

يقول "كريج كونسيدين" في صحيفة "النيوزويك" الأمريكية: "محمد نبي الإسلام، منذ أكثر من ١٣٠٠ عاماً، في حين أنه ليس بأي حال من الأحوال خبيراً "تقليدياً" في مسائل الأمراض الفتاكة، إلا أن محمداً كان لديه نصائح جيدة لمنع ومكافحة تطور مثل "كوفيد-١٩"، قال محمد: "إذا سمعت بوباء في أرض فلا تدخلها، وأما إذا انتشر الطاعون في مكان وأنت فيه فلا تخرج منه" (هذا معنى الحديث الشريف).

وقال أيضاً: "يجب إبعاد المصابين بأمراض معدية عن الأصحاء"، كما شجع محمد البشر بشدة، على الالتزام بالممارسات الصحية التي من شأنها أن تحمي الناس من العدوى. تأمل الأحاديث أو أقوال النبي محمد التالية: "النظافة من الإيمان" (الحديث: النظافة شطر الإيمان).

ويستكمل "كريج كونسيدين" في صحيفة "النيوزويك" الأمريكية، نصائح الرسول عليه الصلاة والسلام: "إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً، فإنه لا يدري أين باتت يده" (رواه مسلم).

وماذا لو مرض شخص ما؟ ما نوع النصيحة التي سيقدّمها محمد ﷺ لإخوانه من البشر الذين يعانون من الألم؟ كان يشجع الناس على طلب العلاج الطبي والأدوية دائماً: "تداووا عباد الله، فإن الله سبحانه لم يضع داءً إلا وضع معه شفاءً إلا الهرم" (رواه ابن ماجه).

إن من الأشياء الرائعة أن يتم الاستشهاد بنصائح وتوجيهات الرسول عليه الصلاة والسلام في بلاد الغرب، لأنهم وجدوا فيها ما يمكن أن يكون فيه فائدة جمّة لهم. لذلك لا عجب أنه في مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية، تم وضع لوحة إعلانية كبيرة الحجم أثناء جائحة كورونا، مكتوب عليها "نصائح للرسول محمد"، وهي: اغسل الأيدي باستمرار. لا تخرج من المناطق الموبوءة. لا تزر المناطق الموبوءة.

### الخلاصة

إن تقديم الحقائق العلمية التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة إلى الغرب بأسلوب يغلب عليه التحاور والنقاش، يعتبر هو الأسلوب الأوفق والأمثل، باعتبار أن العلم وحقائقه من المشتركات الإنسانية، التي يحتاج إليها كل البشر لفهم السنن والقوانين في مجال الآفاق والأنفس، من أجل الارتقاء بالحياة الإنسانية وحماتها.

من جانب آخر، فإن الحقائق العلمية التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، توضح الإعجاز والسبق في ذكرها منذ أكثر من ١٤٠٠ عاماً، حيث يتم اكتشافها تباعاً في العصر الحديث وفي المستقبل أيضاً، مما يظهر عظمة وصدق الوحيين "القرآن والسنة". ■

\*) أستاذ الهندسة المعمارية، كلية الآثار، جامعة القاهرة / مصر.



## رسالة اليتيم

فدائه وهو في ريعان شبابه لم يكمل العشرين عامًا. وبعد أن أعادت "حليمة السعدية" ابنه اليتيم إلى أمه آمنة، بقي معها إلى أن بلغ الست سنوات، ثم توفيت الأم أيضًا. وقد قيل الكثير في فضل اليتيم النبوي؛ فضلاً عما يتعلق باعتماد النبي ﷺ على نفسه، لينشأ الأصلب عودًا والأقوى شكيمة، والأعظم شعورًا بالمسؤولية. فقد استفاد سيدنا محمد ﷺ من يئمه وليس كل اليتيم شر. وأثمرت مراحل اليتيم المركب، التي مرَّ بها النبي ﷺ، العديد من الفرص التي خدمت الرسالة والدعوة.

### اليتيم من علامات نبوته

يُتم الرسول ﷺ ليس مصادفة، بل كان من علامات نبوته.

توفي عبد الله بن عبد المطلب والد النبي ﷺ بعد أن حملت زوجته آمنة بنت وهب بالنبي الكريم ﷺ بشهرين. وتوفيت أمه آمنة وهو ابن ست سنوات، بمنطقة الأبواء بين مكة والمدينة، وكانت قدمت به إلى أخواله من بني عدي بن النجار، فماتت وهي راجعة إلى مكة. وفي سن الست سنوات، كان هذا الطفل المبارك قد فقد والديه الاثنين. إننا عندما نتأمل حياة الأب "عبد الله"، نستشعر أن رسالته الوحيدة في هذه الحياة كانت مجرد تسليم هذه الثمرة الطاهرة إلى يد الحياة. وبعد أن أنقذه والده عبد المطلب من الذبح بأعجوبة، مات بعد سنوات قليلة من

ت

**الإنسان الذي ذاق معنى اليتيم في صغره وذاق كل ألوان الأسى، أدعى لأن يكون أرحم الناس بالناس وهو أعرف الناس. وما من مظهر من مظاهر الحزن إلا وذاقه ﷺ من صغره إلى وفاته.**

حذاء

فقد عرف الراهب "بحيرى" من كتب الأولين، أنه يشترط أن يكون يتيماً. فلما بلغ النبي ﷺ اثنتي عشرة سنة، خرج به أبو طالب تاجرًا إلى الشام حتى وصل إلى منطقة بُصرى، وكان في هذا البلد راهب عُرف بـ"بحيرى"، له مع النبي ﷺ موقف روته كتب السيرة والسنة النبوية، ظهر من خلاله علمه بعلامات وصفات نبي آخر الزمان وهو نبينا محمد ﷺ، التي منها أنه سيكون يتيماً.. فلما قال له أبو طالب بأنه والده -كناية عن أنه بمقام والده- قال له الراهب إن هذا الغلام ينبغي أن لا يكون له أب. وبالتالي يمكن بشيء من التأمل والتفكير، اكتشاف العديد من الحكم الربانية من حتمية اليتيم النبوي.

### النشأة على القوة والتحمل منذ الصغر

كان الأصل في اليتيم النبوي أن يهياً للمهمة الكبرى؛ هي أن يكون خاتم الأنبياء والمرسلين. لا بد أن يكون لليتيم حال من تحمل المسؤولية، فقد دفع "اليتيم المبكر" سيدنا محمد ﷺ إلى الاعتماد على نفسه فنشأ صلب العود قوي الشكيمة، وأكثر تحملاً للمسؤولية، ليكون مؤهلاً لتحمل مسؤولية الدعوة لجميع البشر فيما بعد. وقد عاش النبي عليه الصلاة والسلام حياة الفقر؛ ورأينا اشتغاله ﷺ برعي الأغنام ثم التجارة، قال ﷺ: "ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم"، فقال أصحابه ﷺ: وأنت؟ فقال: "نعم، كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة" (رواه البخاري)، وذلك جعله يكتسب عدّة صفات لا يتحصّل عليها لو لم يعيش يتيماً، كسعة الصدر، واهتمامه وعنايته برعيته وحمايتهم. ومن جهة أخرى تسبب اليتيم في إبعاد النبي ﷺ عن الميل إلى مجد الجاه والمال أو التأثر بهما، فيلتبس على الناس النبوة وجاءه الدنيا. فقد نشأ يتيماً وتولاه خالقه بالعناية والرعاية وحده.

### ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾

وهناك مفهوم آخر عميق حول إرادة الله اليتيم لحبيبه المصطفى ﷺ، وهو أننا لن نفهم مفهوم الربوبية الحق حتى نفهم مفهوم الأبوة، كأن يقول الله ﷻ للإنسان عندما يكبر: عندما كنت صغيراً ضعيفاً عاجزاً، هيأت وأرسلت لك من رعاك وأطعمك وكساك.. وفي كتاب الله تعالى ما يثبت يُتم النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ (الضحى: ٦)؛ أي وجدك صغيراً قد مات عنك أبوك، فجعل لك مأوى، حيث عطف عليك جدك عبد المطلب، ثم عمك أبو طالب. وعندما تكبر هل تعتقد أنني أنساك؟ هذه القيمة حساسة ومؤثرة جداً في علاقة الإنسان بربه. أراد الله ﷻ أن يبعد وجود الأب والأم عن طفولة النبي ﷺ، لأنه أراد أن يرسل للنبي رسالة مفادها أن الله وحده هو سنده وداعمه فعلاً، وأنه هو الأقرب له من أي مخلوق. والله يغار على قلب عبده المؤمن أن يعظم فيه أحداً سواه. وفي السياق ذاته، سمح اليتيم للنبي ﷺ بمزيد من الخلوات ومزيد من جلسات التأمل والتفكير والنضوج الروحي، الذي هياً سيدنا النبي ﷺ لإدراك كل أنوار الرعاية ومعاني الحراسة الرهيفة، التي جاءت في ثنايا اليتيم، ولم يتذوقها فقط بل عاش بها ومعها ولها. ولذلك وصل إلى مرحلة التمكين في الأرض مبكراً، لأن مدده كان من الله ﷻ منذ البداية.

### قدوة لغيره من الأيتام

يحمل اليتيم النبوي، رسالة لكل الأيتام والمستضعفين، هي أن الله رفيق من لا أحد له، وسند من لا سند له، وصاحب من لا صاحب، له وأنس من لا أنس له.. شريطة أن يؤمن هذا اليتيم بكل ذلك حقيقة، ويمتلئ قلبه بذلك اليقين، وكلما استمسك بربه ووضع فيه أمله وثقته من دون الناس، وكلما كانت علاقته قوية بخالقه ﷻ جاءه التوفيق والنجاح، حتى يتحير فيه أصحاب القوة والنفوذ. والتاريخ مليء بقصص كثير من العظماء والأنبياء كانوا بلا أب والمسيح ﷺ أكبر مثال على ذلك. وعندما يتعلم اليتيم السيرة النبوية، يشعر أن الله تعالى اختار له ما اختاره لنبية، مما يزيد صبره وتشبّهه بنبية ﷺ لقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ

hiragate.com

فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ  
الْآخِرَ ﴿الأحزاب: ٢١﴾. إن النقص يهيء المرء للكمال،  
وإن الضعف يهيئه للقوة، وإن وجود الظروف الصعبة  
والتحديات، هي في الغالب عبارة عن مصنع لإخراج  
الكثير من العظمة والجمال والقوة.

### ﴿وَلْتَصْنَعْ عَلَيَّ عَيْنِي﴾

وفي حكمة الوفاة المبكرة لوالدين شابين معني ربابي  
آخر، أراد الله أن يُبعد سيدنا محمد ﷺ عن التأثر بأي  
أفكار جاهلية، أو تنشئة على قيم وأفكار تنغرس لا  
إرادياً في الطفل. فقد رعاها عمه وجدّه وكانا على عقيدة  
والديه، ولكن رعاية الجد والعم كانت رعاية "الأب  
المغذي" وليس رعاية "الأب المربي". لقد أراد الله أن  
يتولى تربيته كما تقدم مع موسى ﷺ الذي تولاه ربه  
بالرعاية وهو الذي نشأ في قصر الفرعون، ولكن فرعون  
هنا كان بمثابة "الأب المغذي" أيضاً.

يقول الشيخ محمد الصادق عرجون: "لك الله يا  
سيدي يا رسول الله، خرجت في رفقة أملك الحبيبة شوقاً  
إلى زيارة بلد ضمّ جسد أبيك الذي لم يشهد إشراق  
طلعتك، ولم تشهد شخصه في حياته، وكان قدرُ الله  
تعالى الحكيم رصداً لوالدتك في طريق عودتها بك إلى  
بلدك الحرام وجدّك الشيخ العظيم، فجمع لك ربك يُتم  
الأبوين ليستخلصك بالتربية، ويصطنعك بالتأديب، حتى  
تكون نشأتك ربانية وتأديبك إلهياً".

### نقاء مصدر التربية والتوجيه

كان من فوائد اليتيم النبوي إبعاد الشك والتهم في أن هذا  
الدين كان من توجيه وإرشاد وتربية أبيه وجدّه له؛ خاصة  
وأن جدّه عبد المطلب كان من كبار قريش وأسيادهم.  
فكان اليتيم وصناعة الله تعالى لنبية وتربيته له، ضمناً  
لنقاء مصدر التربية والتوجيه. ومن ذلك بُعدُه عن عبادة  
الأصنام والمحرمات التي كانت تحصل في مجتمعه،  
وكان يُشتهر عنه الصفات الحميدة التي لم تكن فيمن  
حواله ومن تكفلوا برعايته، فقال تعالى مُتَفَضِّلاً عَلَى نَبِيِّهِ  
الكَرِيمِ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ (الضحى: ٦-٨).

### ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾

كان اليتيم سبباً في تحبيب الناس إليه ﷺ، فقد زرع اليتيم  
في نفسه قيمة المحبة لمن يراهم يحنون عليه ويكرمونه،  
وهو فتى يتيمًا بعيداً عن أجواء الكراهية والحسد، ولا  
شك أنه في قابل أيامه أدرك عناية الله به، حيث كان  
يجمع له قلوب الخلق على غير مصلحة يبغونها منه.

وقد ظهرت قيمة التماسك الاجتماعي في المجتمع  
القبلي منذ تعرّض النبي ﷺ لليتيم، ثم تأكد ذلك بدخول  
النبي ﷺ حالة اليتيم المركب، وما كان من كفالة ورعاية  
له في مهده وطفولته. في ترتيب شؤون رضاعة وكفالة  
النبي ﷺ بعد وفاة والديه، ما يدل على وجود لمسات  
إدارية، تدل على أن لدى القرشيين من السياسة والحكمة  
وحسن تنظيم شؤونهم الشيء الكثير. وكل هذا تأكيد  
لحراسة الله تعالى لنبية ﷺ منذ نعومة أظفاره.

### قوة الضعف

كل الأشياء الصغيرة مُحِبَّة حتى صغار الأسود والنمور  
تبدو وديعة كالقطة. وهذا من رحمة الله بالضعفاء،  
حيث جعل سلاح الضعيف جماله ووداعته، وهو سلاح  
كاف إلى حد كبير لردع قساة القلوب عن إيذائه. ولعل  
جمال سيدنا محمد ﷺ في طفولته، كان من أعظم أسباب  
حمايته؛ ليت لنا من الخيال ما يجعلنا نصور صباحة  
وسماحة وجه يتيم بني هاشم، وصفاء وعذوبة ابتسامته.  
ولهذا، كان أهل الخير يتعلقون به وأهل الشر يهابونه،  
وقد صحبته تلك النعمة طوال الحياة، ونمت حتى صار  
تعلق الناس به جلالاً ورهبة يمازجها التقدير والحب،  
فما أعذب نظراته طفلاً وأقواها رجلاً وأعمقها كهلاً.

### استكمال الرحمة في قلبه الشريف

الإنسان المتترف الذي يغرق في ملذات الدنيا ونعيمها،  
يقسو قلبه فلا يشعر بالآخرين. أما الإنسان الذي ذاق  
معنى اليتيم في صغره وذاق كل ألوان الأسى، فهذا أدعى  
لأن يكون أرحم الناس بالناس وهو أعرف الناس. وما من  
مظهر من مظاهر الحزن إلا وذاقه ﷺ من صغره إلى وفاته،  
فمعاني الأسى ودروس الألم جُبل عليها ﷺ جبلاً. ■

(\*) طبية متخصصة في علم الميكروبيولوجيا الطبية والمناعة / مصر.





## سجلات العنكبوت

في

في أحلك أركان بيت طيني مهجور وسط أنقاض قرية غادرها الإنسان منذ عقود طويلة، اختارت السيدة العنكبوت إقامة مكتبها الوظيفي. مكتب السيدة العنكبوت الوظيفي عبارة عن هيكل خنفساء ضخمة مشدود إلى السقف بأجزاء بعوضة اصطادتها في موسم الصيف، وسيقان جراد، وبعض حبال من شعر طويل يشبه شعر قطة أليفة لأحد سكان القرية الغابرين.

بدأت تفاصيل هيكل الخنفساء تختفي بعدما صار ملطخًا بالتراب المتساقط من جدران المنزل الطيني، وبدأ شكل الهيكل ومظهره يصدران الخوف والذعر للمكان، ليرسم لوحة فريدة يصعب إيجاد نظير لها من شدة قبحها واتساح شكلها. الهيكل رغم شكله السيئ، تلح السيدة العنكبوت على جعله مكتبًا وظيفيًا خاصًا بها. وقد اختارت له موقعًا مميزًا وإستراتيجيًا في قلب بيتها

ومرارة أحماضها وفعالية سمومها، قررت تحويل متعة المكان إلى فصول جديدة تؤرخ لتاريخ جديد للمكان ككل. كبرت السيدة العنكبوت، وصارت قادرة على اصطيد أعداد هائلة من الحشرات. حكاية تؤرخ أحداثها ومشاهدتها وتفصيلها وفصولها السيدة العنكبوت بين صفحات سجلاتها المحفوظة في هيكل الخنفساء، وهوامش بيتها المنتشر في أحلك أركان البيت الطيني المهجور. مكان بفصول جديدة، عمران جديد، بيت عنكبوتي بهوامش مرتبكة، هيكل تلاشت ملامحه الأصلية.

في سقف مكتب السيدة العنكبوت، تظهر بعض الثقوب هنا وهناك رغم محاولة تغطيتها بقطع جلد نفيس لفراشات ويرقات مزركشة مستوردة من منازل عنكب في أماكن بعيدة. عند مدخل الهيكل، تتحرك هياكل الذباب الأخضر النادر والصغير، تم اختيار مواضعها بعناية فائقة بعد رحلة بحث وترصد وصيد مضيئة. يخيل للناظر أن تلك الهياكل الصغيرة، أجراس تذكّر السيدة العنكبوت بأوقات الصيد والأكل والاستراحة والتدريب اليومية. وقد يعتقد البعض الآخر، أن وظيفتها أمنية أو إنذارية أو استخباراتية بامتياز، لأنها تصدر صوتاً وضجيجاً عند دخول -أو خروج- كل جسم أو كائن، ليثير انتباه العنكبوت لشحذ أسلحتها ومخالبها وأحماضها، لاعتقال وتكبييل المتسللين، وذلك قبل انطلاق طقوس الفتك والإذابة والامتصاص، ورمي الهياكل أرضاً.

قطع جلدية وهياكل صغيرة جوفاء هنا وهناك. بالإضافة إلى الطابع الجمالي والتزييني الذي تضيفه هذه القطع على مكتب السيدة العنكبوت، وبالإضافة إلى أدوارها الإنذارية الأمنية التي تلعبها، فهي أيضاً، تمنع تسلل البرد والرياح إلى أعماق ودواليب المكتب الوظيفي، خاصة في فصل الشتاء.

باب مكتب السيدة العنكبوت صغير لا يكاد يخول ولوح السيدة نفسها إذا أسرفت في الأكل، أو افترست ما يستوفي حجم أكثر من ذبابتين. وقد نقش هذا الباب على الجهة اليسرى لبطن الخنفساء ليخصص ما تبقى من الفضاء الداخلي لهيكل الخنفساء، خاصة بعد تزويده بعدة رفوف من عظام سيقان النمل الكبير وبعض بقايا أجنحة الجراد، لحفظ السجلات من التطاير بسبب

المظلم المترامي الأركان والشباك. دعم الهيكل مؤخراً بجزء متين من عمود فقري رقيق يعود لسمكة رمته طيور قادمة من إحدى مدن الساحل البعيدة.

لا أحد يعرف إلى حد الآن، كيف تمكنت السيدة العنكبوت من تثبيت ذلك الهيكل الذي يكبرها حجماً ويفوقها ثقلاً ووزناً. ربما رأت السيدة، نور الحياة داخل الهيكل نفسه أو بالجوار منه، فظلت وفيةً لذكرى متعة الولادة في المكان ومحيطه. لكن بمجرد اشتداد عودها





الرياح، ومن النهب عبر بعض الحشرات المتسللة، مثل النمل الصغير الذي يساعده حجمه على اختراق شبائك البيت وشقوق المكتب الوظيفي للعنكبوت.

ملفات كثيرة وسجلات قديمة وحديثة، كلها تحمل طابعاً وتوقيعات الافتراس، التي قد تتباين نوعاً ما حسب مزاج ونفسية السيدة العنكبوت. ملفات وسجلات غير مرتبة وضعت عليها بعض جماجم حشرات ثقيلة، للحد من تحركها أو تطايرها إذا تسربت ريح قوية، أو تحرك بيت السيدة إبان كل وقوع فريسة ضخمة في شراكها، أو كلما لاقت مقاومة شرسة من فريسة غير عادية وهي تصارع السيدة العنكبوت من أجل النجاة والتحرر والبقاء.. كم مرة لم تكمل السيدة العنكبوت مراسيم اصطيد فريسة وقعت بين مخالبها، لتتكب على جرّ أخرى وقعت في شراكها إلى غياهب ومتهاتات المكتب، والاحتفاظ بأجزائها غير الصالحة للأكل، لتكون شواهد وآثاراً مدوّنة ضمن ملفات وسجلات السيدة العنكبوت.

وتظل جمجمة الخنفساء الصلبة التي تم إفراغها من كل بقايا المخ والشحم والعظام الداخلية، المكان الحساس في مكتب السيدة العنكبوت، لأنها تضم سجلات بأسماء كل الحشرات التي فرّت من قبضتها بعد صيدها، وأسماء الحشرات المبحوث عنها، لأنها استوفت السن القانونية للافتراس، أو الشروط الموضوعية للوقوع في المصيدة. كما تضم رقفاً بالغ الأهمية أقيم على الفك السفلي لجمجمة الخنفساء، وفيه وضعت أنواع المحاليل والسموم والأحماض المُعدّة للقضاء على كل أنواع الفرائس، مع دليل مرفق

لدرجة الفتك والفعالية وآجال الصلاحية.

ويبقى هناك ملف ثانوي قلما تطلع عليه السيدة العنكبوت خلال يومها، وربما يمتد إغفاله لشهور، وهو ملف سجلت فيه بعض أنواع الحشرات ذات الجلد الفخم، والشكل الجميل، والألوان الجذابة، التي تقوم السيدة بالإرسال في طلبها أو شرائها مقابل بعض الجماجم والهيكل غير المستعملة لخرقة مكتبها بشكل دوري، وكلما تبين لها ضرورة إعادة تهيئة فضائها الخاص والسري، خاصة في فترات ازدهار الصيد والإيقاع بالفرائس. ملف لم ينل سوى حيز صغير من فضاء المكتب، ورغم ميول السيدة العنكبوت في لحظات معدودة ومواسم محددة لبعض الجمال والزينة والزخرفة، يضم بين وثائقه بنود وشروط اختيار معدات التزيين والتجميل والزخرفة، ومواقعها وأصنافها، وكيفية جلبها والاحتفاء بها.

في مكتب السيدة العنكبوت، لا يسمح للضيوف بالدخول أو إلقاء نظرة أو طلب زيارة ولو كانت قصيرة أو في غاية الأهمية، إلا من تسلل من الحشرات الصغيرة دون علم السيدة. في الواقع، لا أحد من الحشرات التي سمعت أو شاهدت قوة وعنف السيدة، تجرأ يوماً على ولوج ذلك المكتب أو حتى المنزل وإن علمت بغياب مالكته، أو دخولها في قسطها اليومي من النوم، أو السبات الشتوي الموسمي.

حشرات صغيرة فقط في عمر مبكر هي من تجرأت على اختراق مكتب السيدة العنكبوت، لعدم نضجها وغياب خبرتها في الحياة ومخاطرها الكثيرة، بعضها دخلت المكتب دون علم أسرتها وإخوتها الكبار من الناجين من شراك السيدة العنكبوت.. حشرات صغيرة في عمر اليرقات أو أدنى من ذلك بكثير، دخلت فضاء الانقضاء وهي لا تدري، وظلت تلعب وتمرح، بينما خيوط السيدة العنكبوت تنسج على أجنحتها، لتصير بعد أيام هياكل من دون روح، معلقة على جنبات المكتب والمنزل، ليصير اسمها مسطّراً في سجلات السيدة العنكبوت المتركمة. ■

(\*) كاتب وباحث مغربي.



## إنزال الأطفال منزلة الكبار

ذات يوم دخل خالد بن الوليد رضي الله عنه برفقة عبد الله بن عباس رضي الله عنه على أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، فقامت وجاءت بإناء من لبن لتضيفهم، وبدأت بالنبي صلى الله عليه وسلم، فأخذ النبي الإناء فشرب، وابن عباس طفل لم يبلغ الحلم بعد، بينما كان خالد رجلاً في زهرة كهولته<sup>(١)</sup>. كان يجلس على يمين النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وعن شماله خالد بن الوليد رضي الله عنه، فلما شرب النبي من الإناء نظر إلى ابن عباس عن يمينه وقال: "الشربة لك فإن شئت آثرت بها خالدًا"، فقال عبد الله بن عباس: "ما كنت أوثر على سؤرك أحدًا يا رسول الله".



يجب علينا أن نعلّم أطفالنا ما يجب أن يعرفوه، وأن نجيبهم من المعلومات ما يجب أن يجتنبوه. لا بد أن يتعرفوا على المسائل التي تعينهم في حياتهم القلبية والروحية، ويتشبعوا بالعلوم النافعة حسب سنّهم ومستواهم.

حراه

هو ابن خالة خالد ابن الوليد، فابن عباس أمه هي أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية، وخالد بن الوليد أمه هي لبابة الصغرى بنت الحارث الهلالية، وأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية هي أخت هاتين اللبابتين، وبذلك فتكون ميمونة خالة كل من خالد وابن عباس رضي الله عنهما.

من الأمور التي تعدّ وصمة عار على جبين الإنسانية، فقدان الناس ثقتهم ببعضهم؛ فقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله يشدّد دائماً على الثقة والأمانة، وكان صلى الله عليه وآله رمزاً لذلك عند الصغار كما الكبار.. كان الجميع يدعوه "الصادق الأمين"، ولا شك أنّ الأمة التي يشكلها مثل هؤلاء ستغدو أمينةً أيضاً.

فضلاً عن ذلك، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: "إنّ الله لا يرحم من لا يرحم ولده"<sup>(١)</sup>، يدعو أمته أن يكونوا رجال قلب، فيوصيهم بوصايا عديدة معناها الإجمالي: أحبوا أولادكم، وأوفوا بعهودكم معهم مهما آلت إليه الظروف، فلا يروا منكم تناقضاً بين أقوالكم وأفعالكم. والرسول صلى الله عليه وآله بهذه الوصايا يشير إلى أسمى النقاط المثالية في التربية.

وهنا نشير إلى حديث مهم في هذا الباب:

فعن عبد الله بن عامر رضي الله عنه أنه قال: دعّني أُمي يوماً ورسول الله صلى الله عليه وآله قاعدٌ في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطك، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: "وما أردت أن تُعطيني؟" فقالت: أعطيه تمراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: "أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبتُ عليك كذبة" (رواه أبو داود)، وهذا التصريح يبيّن مدى الخطأ الذي نقترفه عندما نقول: لا ضير في الكذب على الطفل أو خداعه، فهو مجرد طفل.

إن كل خداع أو قول يناقض الواقع، يترسخ كالبذرة في ذهن الطفل، ثم يغدو يوماً ما -اليوم أو غداً- كشجرة الزقوم؛ ومن ثم لا يجدي كل ما بذلتموه من جهود تربوية. فلا بد أن يتحرّى الأبوان الاستقامة على الدوام، ولا بد أن تكون من مبادئ أرباب الصراط المستقيم انسيابية الصدق من بين أفعالهم.

أجل، عليكم ألا تسمحوها بأن ينظر الطفل إليكم

هذا المشهد يُظهر مدى حفاوة النبي صلى الله عليه وآله بالأطفال، ومدى تقديره لهم، وكيف كان يُنزلهم منزلة الكبار، ويعاملهم معاملة الرجال، وكان إذا ما قابلهم جاملهم ولاطفهم وكأنهم رجالاً كباراً؛ ويحمل بعضهم على ظهره، ويأخذ الآخرين في حضنه، ويعاملهم بالتساوي، وإذا ما مرّ عليهم في الشارع وهم يلعبون نظر إليهم بإكبار، وعاملهم بوقارٍ وبادرهم بالسلام، فكانوا يردّون عليه بدورهم قائلين: "وعليكم السلام يا رسول الله". وكان رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه، يقدرهم ويجلّهم كثيراً، فإذا ما وعد أحدهم وعداً كان يفي به في حينه وأوانه وكأنه عاهد إنساناً كبيراً.

إن إعطاء الطفل حقّه وقبول الحق منه، يغرس في نفسه شعوراً إيجابياً نحو الحياة، ويتعلم أن الحياة أخذٌ وعطاءٌ. كذلك فإنه تدريب للطفل على الخضوع للحق مهما كان صاحب الحق صغيراً أو لا يستطيع أن يطالب بحقه على الوجه الأمثل.

وإنّ تعوّد الطفل على العدل في قبول الحقّ، وعلى الرضوخ له، ليفتح طاقته وأفقه في التعبير عن نفسه ومطالبته بحقوقه، وعكس هذا يؤدي إلى كبتها وضمورها. فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله يستأذن غلاماً على يمينه لكي يتنازل عن حقّه ليعطيه للكبير الذي على يساره، فإذا بالطفل لا يؤثر سؤر رسول الله صلى الله عليه وآله على نفسه لأحدٍ أبداً، فيعطيه رسول الله صلى الله عليه وآله الإناء ليشرب ويهنأ في الاستمتاع بحقه.

قد يسأل سائل ههنا، كيف دخلوا على زوجة رسول الله وقامت بضيافتهم ولم تضرب بينها وبين الصحابة ستاراً؟ والجواب طبعاً هو أن ابن عباس

hiragate.com

على أنكم كاذبون، تنقضون العهود، وتطمعون في عرض الدنيا الزائف، بل يجب أن يلمس فيكم ويتعرف من خلالكم على الدوام على خصال الإيثار والتصدق والإيمان والسلام والصبر والخشوع والعفة.

ثم يجب علينا أن نعلّم أطفالنا ما يجب أن يعرفوه، وأن نجبّهم من المعلومات ما يجب أن يجتنّبوه. لا بد أن يتعرفوا على المسائل التي تعينهم في حياتهم القلبية والروحية، ويتشبّعوا بالعلوم النافعة حسب سنّهم ومستواهم.

وكما تلجؤون إلى طبيب الأطفال في مسألة تغذية الطفل؛ ليضع لكم نظامًا تسترشدون به في تغذيته الأسبوعية والشهرية والسنوية، فكذلك عليكم أن تلجؤوا إلى أهل العلم والاختصاص في تربيته وتعليمه، وتعرضوا عليهم حالة ولدكم وتستعينوا بأرائهم، كأن تقولوا: لديّ طفل في الخامسة من عمره، فماذا عليّ أن أفعل تجاهه؟ أو لدي ابن في العاشرة أو الخامسة عشرة من عمره، فماذا يمكنني أن أفعل معه؟ وهكذا يجب أن يكون كلّ موضوع مقيدًا بأفكارهم وآرائهم.

أجل، على كل الآباء والأمهات أن يلجؤوا إلى أهل الاختصاص ويأخذوا الوصفة منهم، ويجتهدوا في تربية أبنائهم وفقًا لهذه الوصفة والمبادئ التي تحتويها.

وعلى سبيل المثال، فإن تحديثكم أبناءكم عن الله تعالى بلا سندٍ أو دليلٍ وقد بلغوا سنّ الثانية، قد لا يُنتج سوى كفرهم وإلحادهم والعياذ بالله.. ففي هذه المرحلة العمرية





يجب أن تتداخل العلوم الدينية مع قدرٍ من العلوم الطبيعية، حتى يجدي حديثكم بالتأثير المرجو في أنفسهم. فقد نما عقل الطفل وتحول من مرحلة التلقين إلى مرحلة الاستيعاب، وعليكم أن تواكبوا هذا النمو والتحول الطبيعي، فثسبِعُوا نهمه المعرفي بمعلوماتٍ عن الله والكون أكثر عمقاً من تلك المعلومات التي كنتم تلقونها له وهو في الابتدائية.

وكذلك إن حاولتم تلقينهم بعض العلوم الفلسفية وهم لا يزالون في المرحلة الابتدائية، فلا ريب أنكم ستشوهون أفكارهم كليّةً. ومن ثمّ عليكم أن تكونوا كأطباء الحاذقين في معاملتهم مع مرضاهم؛ وتقَدِّروا مستوى أولادكم وظروف عصرهم ومحيطهم الثقافي، ثم تزودوهم بالمعلومات اللازمة وفقاً لهذه الأمور.

### إعطاءُ الأبناء حقوقهم

من الوظائف الأولية للأبوين تسميةُ الطفل باسم حسنٍ محببٍ إليه، وذلك في إطار وصايا الرسول الكريم صلوات ربي وسلامه عليه، حيث أولى ﷺ أهمية خاصة لتسمية الطفل فقال: "تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَصْدُقُهَا حَارِثٌ وَهَمَامٌ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَوَمْرَةٌ" (رواه أحمد)، وغير رسول الله ﷺ اسم "عاصية" وقال: "أَنْتِ جَمِيلَةٌ" (رواه مسلم).

وبعد ذلك يأتي حق الرضاعة، ثم التكفل بنفقة الطفل عند الفطام، والتعهد بتربيته.

ومن خلال هذه الأسماء أراد النبي ﷺ أن يُشير بإشارة لطيفة، وهي أن نسمي أولادنا بالأسماء الجميلة، وأن نبتعد عن الأسماء القبيحة.. وأن نلقب أبناءنا ألقاباً تدعوهم إلى الرفعة وتمنحهم الثقة بالنفس.. ونهانا عن تسميتهم بأسماء قبيحة وحرّنا من الأسماء التي قد تنذر بشؤمٍ أو قد تكون مهينة لحاملها.

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب ﷺ يشكو إليه عقوق ابنه، وعندما استمع الخليفة الراشدي إلى الوالد "المفجوع" بخلق ابنه، أحضر -أمير المؤمنين- ذلك الولد وأنبه على عقوقه لأبيه، لكن الأمر لم ينته عند ذلك، فقد كان تحت لسان الولد كلام وهموم وأوجاع،

فقال ذلك الابنُ المُشتكى عليه لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه؟ أجابه عمر: بلى.

فسأل الولدُ خليفَةَ المسلمين سؤال العارف قائلاً: ما هي يا أمير المؤمنين؟

قال عمر: أن يتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه القرآن. هنا انتفض الولد، وأخرج ما في بطنه من كلام، وقال: يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك؛ أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي قبل أبي، وقد سماني "جُعلاً" (أي خنفساء)، وفوق هذا وذاك، فإن أبي لم يعلمني من القرآن حرفاً واحداً.

وبعد هذه المداخلة، تحولت دفة المحاكمة لمصلحة الولد "المفجوع" بوالده، فما كان من عمر بن الخطاب ﷺ حينذاك، إلا أن التفت إلى الرجل وقال: "جئت تشكو عقوق ابنك وقد عققتك قبل أن يعقك".

ومن هنا يضع الفاروق عمر مفهوماً جديداً علينا أن نتلقفه بالفهم والتقدير، وهو كما أن هناك سلوك يسمى عقوق الأبناء بأبويهم، وهو ما يُطلق عليه عقوق الوالدين؛ فكذلك هناك عقوق عكسي، ألا وهو عقوق الأبوين لأبنائهم، ويتجلى في حالة تقصير الأبوين في حقوق أبنائهم.

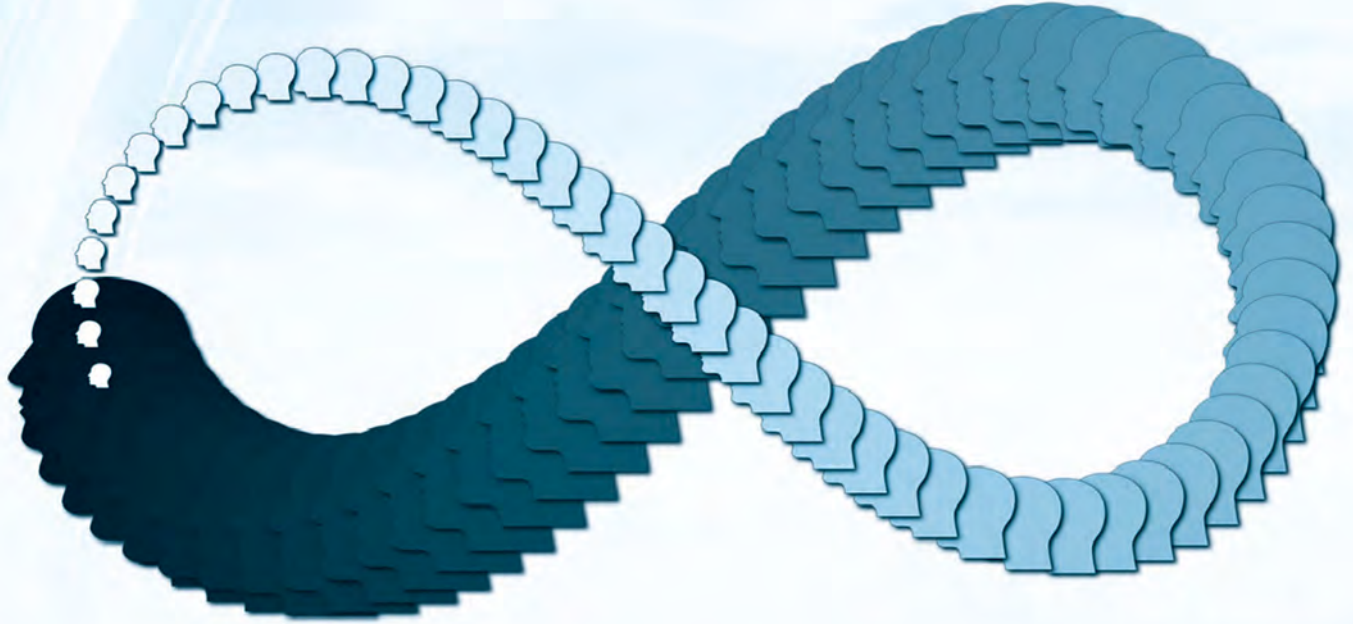
فهل حاكمنا أنفسنا قبل أن نحاكم أولادنا؟! هل قمنا بواجباتنا تجاه أبنائنا قبل أن نطالبهم بالقيام بواجباتهم تجاهنا؟! فالعقوق عقوقان؛ عقوق الأبناء لأبويهم، وعقوق الأبوين لأبنائهم. ■

(\*) كاتب وباحث سوري.

### الهوامش

(١) فخالد بن الوليد وُلِدَ في عام ٣٠ قبل الهجرة، بينما عبد الله بن عباس وُلِدَ في العام الثالث قبل الهجرة، فخالد بن الوليد يكبر ابن عباس بسبع وعشرين سنة تقريباً. والنبي تزوج من السيدة ميمونة بنت الحارث في عمرة القضاء في السنة السابعة للهجرة، وهذا يعني أن عمر خالده بن الوليد في هذه الحادثة لا يقل عن ٣٧ سنة، بينما عمر عبد الله بن عباس ﷺ قرابة عشر سنوات.

(٢) مسند البزار: ١٤/١٢.



## العقيدة الإيمانية ويقظة الوعي بالذات

لتحقيق سعادته المنشودة، خاصة في تطوير طريقة تفكيره ومنهجية فهم حقائق الأشياء ومآلاتها ومقاصدها. ومن أهمها مسألة الوعي بالذات، وكيفية يقظته بعد الغفلة التي يصاب بها الإنسان أحياناً، فتبعده عن الحق وعن التفكير السليم.

### أهمية العقيدة الإيمانية

نقصد بالعقيدة الإيمانية، العقيدة التي تقوي أصول الإيمان التي أشار إليها القرآن والسنة، وتوقظ الفطرة من سباتها وتقوي الوعي بالذات. وهي ليست تلك العقيدة التي أبعدت الناس عن الإيمان بسبب تلك المصطلحات الفلسفية والكلامية، لأننا عندما نستقري مضمون دروس العقيدة الإسلامية في كليتنا وجامعاتنا ومعاهدنا، نجد حالة من الركود والانحراف عن المنهج الذي رسمه القرآن والسنة النبوية في تقديم دروس

ثنائية العلم والإيمان من الأسس الهامة التي يمكن أن تعتمد في صياغة العقيدة الإيمانية، صياغة تتماشى مع معطيات العصر الحديث، على اعتبار أن المسلم صاحب عقيدة صالحة لكل زمان ومكان. وهي من الواجبات الهامة على كل المسلمين، وعلى طلبة العلم أوجب من الناحية النظرية والتطبيقية؛ فهي أول مواد التدريس التي تهتم بها المدارس والمعاهد والجامعات بعد تعليم القرآن الكريم. وقد أمر الشرع الحنيف بتعليم وتنشئة المسلمين على العقيدة الصحيحة، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحریم: ٦).

والعقيدة الإيمانية لها دور كبير في حياة الإنسان

الإيمان للناس، ذلك أن موضوع الدرس العقدي اليوم تكتنفه صعوبة في الطرح، وغموض في محتوى المنهاج الذي يتضمن في الأغلب مصطلحات كلامية وفلسفية مجردة من الأفكار الإيمانية القلبية، التي يتفاعل معها الوجدان والعقل والنفس، وتنعكس على السلوك فتثمر لنا شخصية متميزة تحقق مراد الله تعالى في عباده.

ونحن نعلم أن العقيدة الإسلامية لها دور عظيم وجليل في صياغة الإنسان الحضاري عبر التاريخ الإسلامي، وحين انحرفت عن المنهج الذي رسمه الرسول ﷺ، كانت الدعوة إلى التجديد وإعادة الصياغة من جديد، بما يخدم أهداف العقيدة الإيمانية، ومقاصد القرآن الكريم والسنة النبوية. وقد أجمل لنا محمد الغزالي الدواعي للتجديد حين ذكر سبب تأليفه لكتاب "عقيدة المسلم"، نذكر منها بعض المقطعات باختصار: "بين المسلمين اليوم نزاع يفصم وحدتهم حول ما دار بين علي بن أبي طالب وغيره من الصحابة في مسائل الخلافة.. لماذا نقحم هذه الأمور إقحاماً في شؤون العقيدة؟ ولماذا لا تبقى في نطاق الذكريات التاريخية نأخذ منها العبرة؟ وما صلة ذلك بالإيمان بالله واليوم الآخر؟ وقد بذلت جهدي - حين تصديت لتصوير عقيدة المسلم - أن أتجنب أشواك هذا الخلاف.. وإذا كان علم التوحيد (العقيدة) على النحو الذي وصفنا، فإن كتبه التي تشيع بيننا الآن، فشلت في أداء رسالتها شكلاً ومضموناً. فمن ناحية الشكل لا معنى ألبتة لعرض علم ما في توزيع مضطرب بين متن وشرح وحاشية وتقرير، وفي لغة ركيكة اللفظ سقيمة الأداء.. فهل يبقى الكلام في العقائد حكراً على هذا النمط من الحواشي والمتون؟ على أننا إذا تغاضينا عن الشكل، وتعرضنا للجوهر بالنقد والتمحيص، لا نلبث أن ندرك أن هذا الجانب الإلهي من الثقافة الإسلامية طغت عليه الفلسفات الغربية التي نقلها السريان عن اليونان وغيرهم.. ويبدو أن الأسلاف الباحثين في هذه الناحية من الإسلام، قد فتنهم الإعجاب بما نقله إليهم التراجم من ثمرات العقل اليوناني.. ومن العجيب أنك تقرأ في أمهات الكتب الكلامية وتطوي الصفحات الطوال، فلا تكاد تعثر على آية أو حديث"<sup>(1)</sup>.

ويجب أن نفرق بين المنهج الثابت الذي لا يتغير في

عرض العقيدة الإسلامية، والمتغير الذي يتماشى وكل عصر ويفرضه الواقع. فإله تعالى تعامل مع الأقوام كل حسب عصره في تأييد رسله بالمعجزات؛ فموسى عليه السلام كانت معجزته العصى لأن قومه قوم سحرة، وعيسى عليه السلام كانت معجزته إحياء الموتى بإذن الله وإبراء المرضى، حيث كان الطب منتشرًا في ذلك الوقت، والجزيرة العربية كانت معروفة بالفصاحة والبلاغة، لذلك كانت معجزة النبي ﷺ القرآن الكريم، وهو معجزة صالحة لأي عصر. وفي جميع هذه الحالات، كانت العقيدة واحدة لا تتبدل، سواء في عصر موسى أو عيسى عليهما السلام، أو سيدنا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥)، وهي دعوة جميع الرسل والأنبياء عليهم السلام في أي عصر.

### ماذا نعني بيقظة الوعي بالذات؟

اليقظة عكسها الغفلة التي تنسى الإنسان حقيقة وجوده، وتعمل على التبلد والتلبد على مستوى الفطرة، وهي الحالة التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠-٣١).

وكذلك ما ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" (متفق عليه).

فحاصل الفطرة في المعنى الشرعي، هي الخلقية الأصلية التي لم يدخلها تغيير أو تبديل، ولذلك عبر القرآن الكريم عن الخروج عن الفطرة بأنه تبديل لخلق الله، والإنسان الذي هو في غفلة أو في اللاوعي بالذات، فهو خارج الفطرة، والذي لا يحسن التفكير الجيد السليم في إدراك الحقيقة الإيمانية، ويستمد أفكاره من فلسفات البشر، ويترك آيات خالق البشر، فهو خارج الفطرة السليمة.. فهو يحتاج إلى اليقظة للعودة إلى الوعي بالذات، حيث تُزال عنه كل الغيوم الملبدة، وكل الحجب التي كانت تمنعه من الفهم الواعي.

ولذلك نقول إن يقظة الوعي بالذات، تؤدي إلى إدراك حقيقة الوجود، ومهمة الإنسان في هذه الحياة.



**هناك علاقة وطيدة بين الوعي بالذات وعقيدة الإنسان، وهي علاقة طردية، كلما كانت العقيدة صحيحة وسليمة كان مستوى الوعي بالذات في أعلى مراتبه، على اعتبار أن الوعي بالذات هو عبارة عن وحدة عمليات الشعور بالراحة النفسية والمعرفة الذاتية.**

حراه

قدسيته من القرآن الكريم والسنة النبوية، وبهذا تعتبر منهجاً فاعلاً ومؤثراً في تفكير الإنسان، وتحديد وجهته السلوكية والفكرية على مستوى الوعي بالذات. وبالتالي فإن التسليم التام لهذه العقيدة الإيمانية، هو الملجأ الوحيد ليقظة الوعي بالذات، لأن هذه العقيدة ليست مجردة، فهي تحمل خصائص فاعلة ومؤثرة وعملية، ولها مفهوم إيماني عملي، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ (يونس: ٩)؛ والهداية هنا هي عين الوعي بالذات، الذي ندرك به الحقائق الماثرة في هذا الكون الفسيح، وما فيه من مخلوقات عجيبة تنطق بالوحدانية لله تعالى. وفي هذا المعنى يقول محمد الغزالي: "عظمة الإيمان تعتمد ابتداء على فقه في آيات الكون يقف المرء على أسرار الإبداع الأعلى، ويشعره بما يستحقه الخالق الكبير من مجد وحمد، عظمة الإنسان تقوم على نشاط عقلي لا حدود له، يواكبه نشاط روحي لا يقل عنه كفاءة، بل يربو عليه"<sup>(١)</sup>.

وهذا المنهج المستمد من القرآن الكريم، اعترف به علماء الغرب أنفسهم؛ يذكر موريس بوكاي في كتابه "القرآن والإنجيل والتوراة والعلم" - من صفحات المقدمة وحتى الأسطر الأخيرة من الكتاب - إلى تأكيد مسلمة جوهرية قوامها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم الحديث، ويقول: "إن القرآن يثير وقائع ذات صفة علمية.. وأنه لا يتناقض موضوع ما من مواضع القرآن العلمية مع وجهة النظر العلمية.. وأنه مبادئ القرآن الصريحة تأمر دائماً بالرجوع إلى العلم والعقل اللذين يسمحان بنفي صحتها على ضوء حقائق القرآن"<sup>(٢)</sup>.

وقد عبر القرآن عن الفرق بين اليقظة والغفلة، في وقوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ (الأنعام: ١٢٢).

ومثال ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ قبل إسلامه كان شديداً في الكفر والعناد، ولما شرح الله تعالى صدره للإسلام عاد إلى فطرته الأصلية، فأصبح شديداً في الحق، وأصبح يرى بنور الله تعالى فكان الوحي ينزل موافقاً لرأيه. ومن ثم فإن الفطرة الإنسانية الأصلية، تجعل الإنسان يرى الحق بيناً ناصعاً، فيتبعه ويتمسك به، ويرى الباطل بيناً شديداً السواد فلا يقترب منه.

فالوعي بالذات هو القدرة على فهم الواقع كلما تغير مع التوليد المستمر للمعلومات عنه، وبالتالي نفهم الخفايا والأبعاد ما خلف السطور بفهم واع، ولا نكتفي بالظاهر سواء في النص أو في واقعة. فالوعي بالذات يجعلنا نركي أنفسنا ونطورها باستمرار عن طريق التفكير الذاتي والفحص الذاتي، من أجل فهم أعمق لعالم الأفكار وعالم الأشخاص وعالم الأشياء، ويمنحنا الثقة بالنفس من أجل التواصل مع الآخرين بإيجابية، ونفهم الأشياء من وجهات نظر مختلفة ومتعددة، ويساعد على تنظيم الوقت والحياة.

### علاقة العقيدة بالوعي بالذات

هناك علاقة وطيدة بين الوعي بالذات وعقيدة الإنسان، وهي علاقة طردية، كلما كانت العقيدة صحيحة وسليمة كان مستوى الوعي بالذات في أعلى مراتبه، على اعتبار أن الوعي بالذات هو عبارة عن وحدة عمليات الشعور بالراحة النفسية والمعرفة الذاتية. فهو تحديد للعلاقات الثلاث، علاقة النفس بالذات وبالخالق وبالآخرين. والعلاقة هي تحديد لنتائج الحوار الفكري بالمنطقي بين العقل والآنأ، لتحديد المنهج المعرفي الذي يحقق السعادة المنشودة، وبالتالي سينتج لنا هذا الوعي بالذات نتائج وابتكارات إبداعية تؤسس لبناء حضارة الإنسان. ومن أهم العوامل المؤثرة في تكوين التقدير الذاتي هو عامل اليقظة والثقة بالنفس.

وكما نعلم أن العقيدة الإيمانية الإسلامية تستمد

لأن الواقع هو أن المسلم يعيش في حالة تلبذ الفطرة وتبليدها، بسبب ما قامت به الدوائر الغربية من تخريب للعقول المسلمة واستهداف لمراكز القوة فيه، وهي تعطيل فاعلية العقيدة الإيمانية، مما سبب حالة من الغفلة وخللاً خطيراً في طريقة التفكير.

### أهمية يقظة الوعي بالذات

من أخطر أنواع الجهل والتخلف، هو أن يجهل الإنسان نفسه ومصيره وحقيقة وجوده.. وفهم الذات الإنسانية لا يمكن إدراكه من خلال معارفنا العقلية وتجاربنا العملية، إنما الحقيقة ندركها من مصدرها الأصلي، وهو الوحي الإلهي الذي يخبرنا عن بعض تفاصيلها، فيقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا \* قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا \* وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٧-١٠).

فيقظة الوعي بالذات، هو معرفة الدور الذي يجب أن يعلمه الإنسان من خلال مكوناته الروحية والنفسية والعقلية، وبعبارة أبسط، الوعي الذاتي هو معرفتك لحالاتك الداخلية، ومعتقداتك ونقاط قوتك ومواهبك وتفضيلاتك ومصادرك التي تعتمد عليها، وحدسك. من أجل تحديد الوجهة الصحيحة، فإذا عرفت بالضبط ذلك، سيكون من الأسهل التعامل مع المواقف غير المتوقعة. والأهم من ذلك، إذا عرفت كيف يتفاعل اللاوعي مع أحداث معينة، فيمكنك محاولة تحسين الطريقة التي تتفاعل بها مع هذه الأحداث.. وهي القدرة على معرفة وتكوين المعايير انطلاقاً من العقيدة التي يؤمن بها، والمبادئ الأخلاقية التي يستمدّها من الدين، والتي تسير قيم المجتمع الذي ينتمي إليه.. فإدراك الوعي بالذات، يجعل الإنسان يضبط طريقة تفكيره، وتبين له خطورة حالة اللاوعي.

ويمكن تلخيص أهمية يقظة الوعي بالذات فيما يلي:

- معرفة حقيقة وجود الإنسان، وما يجب عليه نحو نفسه وخالقه والناس أجمعين. فاليقظة تجعله يصل إلى المعرفة التي توصله إلى الحقيقة، ماثلة أمامه من خلال العناية الإلهية الماثورة في نعم الله تعالى اللامتناهية.
- تقوية الشخصية باتخاذ القرار الصائب والرؤية

البعيدة في كيفية التفكير والحكم على الأشياء وحسن التصرف.

- معرفة مجالات النفس وأهوائها؛ ومن اليقظة بالوعي بالذات، يدرك الإنسان أهداف النفس الأمارة، التي تقف حجاً بينه وبين الله.. وهذه المعرفة تحرك الإنسان.

- يصبح الإنسان أكثر انضباطاً ورضاً عن نفسه وعن وجوده في مجتمعه وعن وظيفته.

- تحسين العلاقات مع الآخرين، والحصول على مستويات أعلى من السعادة، تؤدي إلى المزيد من الإبداع والابتكار والتواصل.

- تمنحنا القوة للتأثير على النتائج، وتساعدنا في أن نصبح صناع قرار أفضل.

لقد أثبتت كثير من الدراسات النفسية، أن الأشخاص الذين يملكون وعياً ذاتياً، هم أكثر سعادة ولديهم علاقات أفضل. كما أنهم يتمتعون بإحساس بالسيطرة الذاتية والاجتماعية بالإضافة إلى زيادة الرضا والسعادة، والسبب في كل ذلك لأنهم يملكون عقيدة إيمانية تستجيب للفطرة الإنسانية السليمة وتتجاوز معها. وأما الذين يعتمدون على نظريات مادية واهية، لا يمكنهم إدراك الحقائق بشكل واضح، مما يجعلهم في صراع مع أنفسهم.. حيث أثبتت الدراسات النفسية أن أكثر من ٩٥٪ من البشر، يهربون من الجلوس مع أنفسهم، وقد يسبب هذا أمراضاً نفسية، لأنهم يشعرون بتأنيب الضمير، والخوف من واقعهم.. وهم بهذا السلوك يورطون أنفسهم في مأزق يغزو حياتهم المستقبلية. والواجب أن يحاور الإنسان ذاته ويصحح أخطاءها ويتقبل نصيحة الآخرين، ويعالج مشاكلها دون أية عقدة. ■

(١) أستاذ العقيدة والفكر الإسلامي، جامعة الأغواط / الجزائر.

#### الهوامش

(١) عقيدة المسلم، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، ط: ٤، ص: ٦-٨.

(٢) ركائز الإيمان بين العقل والقلب، محمد الغزالي، ص: ٢٣.

(٣) القرآن والإنجيل والتوراة والعلم، مورييس بوكاي، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٤، ط: ٢، ص: ١٦.

# العلاج بالقراءة في التراث

ل للقراءة فضيلة علاجية، فإن لم تكن تشفي كل أمراض البدن، فإنها تسكن كل أمراض النفس. ومصطلح "العلاج بالقراءة" (البليوثرايبيا - Biblio-therapy) مكون من مقطعين يونانيين، الأول "Biblion" ويعني "كتاباً"، والثاني "Therapeia" ويعني "التدوي أو العلاج".

البداية كانت في منتصف القرن العشرين عندما جاء العالمان "سميث" و"توفورت"، ليؤكدوا أن القراءة يمكن أن تستخدم علاجاً في حالات المرض العقلي والنفسي، عن طريق مساعدة المريض للحصول على معرفة أفضل عن نفسه وعن ردود أفعاله، ومساعدته أيضاً على تحقيق مستوى أفضل من التكيف لحياته، وعقدوا جلسات للقراءة في مراكزهم العلاجية.

ومن المعروف أن الأمراض تنقسم إلى "عضوية، وروحية، وبدنية نفسية، ونفسية بدنية"؛ العضوية تعالج بالعقاقير، والروحية تعالج بمسبب المرض، والقراءة والبدنية النفسية تعالج بالعقاقير



والقراءة معاً، والنفسية البدنية تعالج بالقراءة فقط. فالإنسان يمرض بسبب كلمة أو سلوك مضاد من الآخرين، لذا فإنه يشفى بكلمة أو تعديل السلوك المقصود، ذلك لأن الأصل في الإنسان هو الاعتدال أو التوازن بين النفس والروح، وكل الصفات الإنسانية يحكمها التوسط. فالشجاعة إذا انحرفت نحو اليسار تكون تهوراً، ونحو اليمين فهي جبن. وهناك خمسون مرضاً يمكن علاجها بالقراءة، منها الخوف والقلق، والشعور بالدونية والجشع، والتعصب والاكْتئاب، والخروج على القانون، والانطواء والتوحد مع الذات، والكسل والإدمان، والذهان وأمراض الشيخوخة، والوسواس القهري، وأمراض الكلام والصداع... إلخ. وذكرت إحدى الدراسات الحالية، أن هناك ٢٥٥ مرضاً نفسياً وبدنياً يمكن معالجته بالقراءة.

ومن الأمراض التي تعالج بالقراءة حالات القلق، والمشاكل الجنسية، وترميم الشخصية، والفوبيا على أنواعها، وتعاطي المخدرات، والانطواء، والسمنة، والتوتر، إضافة إلى العديد من الأمراض العضوية، التي تسهم القراءة في توعية صاحبها، وجعله مدركاً لوضعه وأساليب علاجه، والسبل التي تسهم في تحسين حالته. وقد تطور هذا العلم في أميركا بفضل تقدم علوم المكتبات وتفرع تخصصاتها، وتم فصلها مع تطور مشابه في ميادين التحليل النفسي.

### العلاج بالقراءة في التراث العربي

لحكمة ربانية كانت أول كلمة نزلت إلينا من السماء هي "اقرأ"، أي إن فريضة القراءة سبقت فريضة الصلاة والزكاة والصوم.

ونحن على إيمان وبقين بأن قراءة الإنسان للقرآن الكريم والأدعية الشريفة، من شأنها أن تعمل على تطهير نفسه من الأدران والشوائب وتجعلها طاهرة شفاقة. يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَتُنزَلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء: ٨٢)، وتفسير الآية الكريمة كما جاء في بعض كتب التفسير: "نزل إليك أمراً يشفي أمراض القلوب ويزيلها ويعيد إليها حالة الصحة والاستقامة، فتمتع من نعمة السعادة والكرامة". والأصل والقاعدة في الكتاب، أن يكون

مصدر نور وهداية لقارئه: ﴿ذَلِكِ الْكِتَابُ لَأَرْبَبٍ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢).

وفي السنة المطهرة طالعنا ووعينا كلمة الرسول ﷺ الراقية، التي يقول فيها: "اقرأ وارزق" (رواه الترمذي)؛ والراقي الذي عناه الرسول الكريم، يتجاوز مسألة الرقي بمستوى الإنسان الذي يشكو من مرض معين يرتبط بأمر النفس مثلاً، بل هو رقي بالإنسانية في مختلف المجالات، وذلك فيما يرتبط بأمر الدنيا والآخرة.

وتوارث المسلمون ذلك الشفاء، وأضافوا إليه حتى رأينا العصر العباسي يذخر ويفخر بالكتب والمكتبات والكتاب والوراقين.. يلجأون للكتب للقراءة ويتسلون عن مصائبهم، حتى رأينا المنصور يطلب من يسليه بالشعر؛ فقد ذكر في كتاب قصص العرب: لما مات جعفر بن أبي جعفر المنصور، مشى أبوه في جنازته من المدينة إلى مقابر قريش، ومضى الناس أجمعون معه حتى دفنه، ثم انصرف إلى قصره، وأقبل على الربيع فقال يا ربيع انظر من أهلي ينشدني: "أمن المنون وربها نتوجع"، حتى أتسلى بها عن مصيبي.

والقصيدة من أشهر قصائد رثاء الولد في الشعر العربي، وهي لأبي ذؤيب الهذلي يرثي فيها أولاده السبعة، وقد ماتوا جميعاً إلا واحداً، وفيها يقول:

أَمِنَ الْمَنُونِ وَرَبِّهَا تَتَوَجَّعُ

والدهرَ ليس بمُعْتَبٍ من يجزع

أودى بِنَيِّ وَأَعْقَبُونِي غُصَّةً

بعدَ الرُّقَادِ وَعَبْرَةٌ لا تُقْلِعُ

سبقوا هويً وأعنفوا لهواهم

فَتُخَرِّمُوا ولكل جنبٍ مصرع

فبقيت بعدهم بعيش ناصب

وأخالُ أني لاحقٌ مُسْتَتَبِعُ

وإذا المنيَّةُ أنشبتْ أظافرها

ألقيت كلَّ تميمَةٍ لا تنفع

قال الربيع: فخرجت إلى بني هاشم وهم بأجمعهم

حضور، فسألتهم عنها فلم يكن فيهم أحد يحفظها،

فرجعت فأخبرته فقال: والله لمصيبي بأهل بيتي ألا يكون

فيهم أحد يحفظ، هذا أعظم وأشد من مصيبي بابني.

وفي هذا العصر-أيام المنصور أيضاً- كان يتم تقديم

من الأمراض التي تعالج بالقراءة حالات القلق،  
والفوبيا على أنواعها، وتعاطي المخدرات،  
والانطواء، إضافة إلى العديد من الأمراض  
العضوية التي تسهم القراءة في توعية  
صاحبها، وجعله مدركًا لوضعه وأساليب  
علاجه، والسبل التي تسهم في تحسين حالته.

حذاء

فالإشارة الصريحة إلى الشفاء وإلى الدموع التي  
جاشت بالتذكر والحنين ولوعة الفقد وترديد الأشعار  
المرتبطة بالمكان والزمان والمحبوب، كل ذلك من شأنه  
أن يضع أيدينا على بداية مبكرة لفكرة العلاج بالشعر،  
التي ستصبح أكثر نضجًا واكتمالاً عند شعراء آخرين  
ساروا على هذا المنوال، إلى أن يصل المعنى صريحًا على  
لسان قس بن الملوح في بيت قاطع الدلالة يقول فيه:

فما أُشرف الأيفاعَ إلا صبايةً

ولا أنشدُ الأشعارَ إلا تداويا

وبيت قيس هذا، هو أول إشارة صريحة إلى فكرة  
العلاج أو التداوي بالشعر، ففي إنشاده أشعاره يكون  
شفاؤه مما هو فيه من وجد وأشواق وصبابات.

هكذا أصبحت الفكرة أكثر وضوحًا بهذا البيت  
العجيب الذي قاله الشاعر المجنون، وهو يدفع هوى  
ليلي وليل الهوى؛ وكأنه يلخص حكمة الجنون كلها  
بتحديده العقلاني لجنون الشعر بالمزيد منه، وكأنه  
يحاول أن يدفع مظنة السمو بالإصرار عليها، فهو لا  
يشرف الأيفاع، ولا يصعد الذرى إلا صباية، أو ربما  
دفعًا لتبعات تلك الصباية في روحه وجسده وما بينهما.  
وهو لا ينشد الأشعار إلا تداويًا، فليس الشعر إلا دواء  
جاهز يتناوله من بحاجة إليه لحظة يريد.. ومع ذلك فهو  
دواء يضطر معه المتداوي للممارسة المستمرة، وبين  
التداوي والدواء ما بين الشعر واللاشعر. وما المجنون  
إلا شاعر ذهب نحو المدى الأقصى في بحثه عن سر  
الشعر الخبيء، وسر الصباية الموحش، وسر الجنون  
الذي يذهب بالعقل لكنه لا يذهب بالروح.

ولقد أعطي شعر قيس وغيره من الشعراء العذريين

خدمة أخرى إلى جانب الخدمات الصحية العلاجية  
بالبمارستان، تمثلت في قيام أحد الشيوخ بتلاوة بعض آيات  
من القرآن الكريم. ويكفي للعرب فخرًا، أن أول مستشفى  
عقلي في العالم قد شيدت في بغداد بالعراق عام ٧٠٥هـ.  
لذا فإن هناك نظامًا علاجيًا عربيًا إسلاميًا سابقًا للعلاج  
الغربي بالقراءة، ولكن بكلمات القرآن وآياته لما تحتويه  
على الحث على القوة والصبر والمثابرة، والرضا بالقضاء  
وانتظار الفرج، وما تحمله الآيات من أحكام وسطية في  
الصفات البشرية تجاه الحزن والغضب والبخل والنفاق  
ومقاومة الظلم والفساد وإحقاق الحق والخير والفضيلة.  
ومن المفيد ذكره، أن لهذا النظام العلاجي تجارب  
أجريت على أشخاص أمريكيين وإنجليز لا يعرفون  
الدين الإسلامي أو اللغة العربية، عن طريق القرآن  
الكريم، وسجلت شفاء من الأمراض مثل الصداع  
والضغط والسكر. كما تأتي قراءة السّير والتراجم في  
الصف الثاني من درجات هذا العلاج وتفيد في حالات  
التأسي والافتداء والمقارنة والصبر.

### العلاج بالشعر عند العرب

لقد عرف العرب القدماء العلاج بالقراءة (إلقاء الشعر  
وإنشاده)، وجعلوا منه ترويحًا للنفوس الكليّة العليلية.  
فترائنا الشعري لم يكن بعيدًا عن فكرة العلاج بالشعر،  
وإنما كان شعراؤنا منذ "امرئ القيس" على وعي بما  
يحدثه الشعر الحزين من أثر مريح في نفس المتلقي.  
فامرؤ القيس الذي يشار إليه دائمًا بأنه أول من وقف  
واستوقف وبكى واستبكى، وأيضًا أول من أشار إلى فكرة  
الشفاء عن طريق البكاء أو الشفاء بالدموع. هذا الشفاء هو  
عينة التطهر وما يحدثه من راحة في النفس وهي تواجه  
موقفًا تراجيديًا مأساويًا حين تقف على الأطلال، وتذكر  
الأحباء الراحلين، والأيام التي انقضت برحيلهم، والأماكن  
التي كادت تزول هيئتها وصورتها بزوالهم.. والشعر الذي  
ارتبط بهذا المخزون من الذكريات استعادته تدفع بالدموع  
الحارة إلى العيون، وإنشاده وترديده هما بداية الإحساس  
بالتطهر والشعور بما يعقبه من راحة. يقول امرؤ القيس:  
وإن شغائي عبرة مهراقة

فهل عند رسم دارس من معول؟

لفكرة التطهر بالشعر ومن ثم العلاج به، أبعادًا وأعماقًا جديدة.. فالعاطفة العذرية تستند إلى مقومين رئيسيين أولهما تقاليد الفروسية العربية الأصيلة -موروث العصر الجاهلي- التي تحرص على الشرف والعرض وصون المرأة، وثانيهما العاطفة الدينية القوية التي جاء بها الإسلام وتملكت مشاعر الشعراء العذريين الذين ارتبطت عواطفهم بالنقاء والطهر، وتجنب اللقاء والوصول، وعدم ذكر الأوصاف الخارجية للمرأة المحبوبة، والتوحد في الحب، وامتلاء شعرهم بمعاني الرضا بالقضاء والقدر، باعتباره المتحكم في القلوب يصرها كيف يشاء، يقول قيس:

قضى الله بالمعروف منها لغيرنا

وبالشوق مني والغرام قضى ليا

ويقول:

قضاها لغيري وابتلاني بحبها

فهلا بشيء غير ليلي ابتلانيا بذلك أصبح التطهير، أو التطهر الذي يحدثه الشعر شاملاً وجامعاً، وتصل نفس الشاعر المحب إلى درجة عالية من العفة والشفافية والترقي في مدارج النقاء، مما هباً هذا الحب العذري إلى الانتقال ليصبح من شواغل الشعراء الفرس، الذين أضفوا عليه مسحة صوفية، فأصبحت ليلي في أشعارهم رمزاً للحقيقة المطلقة، وقيس رمزاً لمن يبحث عن هذه الحقيقة، ويصعد في معراج المعرفة درجات هي درجات الصوفي في مقاماته وأحواله. وقد اتخذ العلاج بالقراءة عند العرب أنماطاً أخرى غير الشعر، كالكتابة الساخرة والفكاهة التي تعالج الاكتئاب، ومن أشهر من قاموا بذلك الجاحظ في البخلاء، والأصفهاني في الأغاني، وبشار وأشعاره، وأبو نواس وأخباره.. والذي أنشدنا قوله:

إني أنا الرجل الحكيم بطبعه

ويزيد في علمي حكاية من حكى

أتبع الظرفاء أكتب عنهم كيما أحدث من أحب فيضحكا.

وما روي عن الشاعر ابن الرومي الذي اشتهر بكثرة تطيره وتشاؤمه، وأتى علاجه على يد شاعر يدعى بردعة الموسوس، وذلك حين كتب إليه الشاعر على ابن

الرومي أبياتاً قال فيها:

ولما رأيت الدهر يؤذن صرفه

بتفريق ما بيني وبين الحباب

رجعت إلى نفسي فوطنتها على

ركوب جميل الصبر عند النوائب

ومن صحب الدنيا على جور حكمها

فأيامه محفوفة بالمصائب

فخذ خلسة من كل يوم تعيشه

وكن حذراً من كامنات العواقب

ودع عنك ذكر الفأل والزجر واطرح

تطير جار أو تفاؤل صاحب

فقال ابن الرومي بعد أن قرأها: "والله ما تطيرت

بعد هذا".

وليس صدفة كثرة ما ورد في تراثنا العربي (الشعر، والنثر، والقصص، والحكايات، والأمثال) من ظرف وطفرة وفكاهة، وما شابه ذلك من الدعابة والمزح. وإذا صح أن الفكاهة تصلح أن تكون عنواناً طيبة الخلق ولطفه ورقة المزاج ورهافته، فإن الأدب العربي في المكان الأعلى من حيث انسجامه وحلاوته وجاذبيته، لكثرة ما يعرب عن هذه الطيبة في النفوس، ورقة المزاج، ورهافة الحس، وما لهم من تأثير في نفس المتلقي، إذ إن الظرف والطفرة والفكاهة هي ضد ما هو تراجيدي، بحيث يصبح ما يحدثونه من أثر في نفس القارئ بمثابة حيلة بيولوجية يتحايل بها القارئ على انفعالاته أو يشارك بها الغير في وجدان ما، أو يستعلي على موقف ما بضحكة يطلقها قد تحجب وراءها دمة. والشعر العربي قديمه وحديثه، مليء بالنماذج التي تصلح للعلاج بالشعر، لو أحسن استخدامها أطباءنا الذين يعملون في حقل العلاج النفسي والعقلي، خاصة من حظي منهم بموهبة الإبداع الأدبي والشعري، واستطاع أن يسيطر على مفاتيح النص الشعري وسبر أغواره وأعماقه. ■

(\*) باحث في التراث العربي والإسلامي / مصر.



## الذكاء الاصطناعي والنزاهة العلمية

نما المجتمع البشري وتطور الإنسان ببطء عبر ملايين السنين حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه الآن. وفي هذه المسيرة الطويلة اخترع البشر الكثير من الأشياء بناء على حاجتهم، من المحراث وحتى المركبات الفضائية. وعلى الرغم من أن الآلات مصممة لتقليد البشر، فإنها لا تستطيع ابتكار أي شيء بناء على إرادتها الخاصة، فكل ابتكاراتها موجهة ومصممة من قِبَل الإنسان وما يحتاجه.

لقد تعلم البشر وابتكروا الأشياء أثناء نموهم وتطورهم، لكن جاء الذكاء الاصطناعي وهو مختلف، حيث تتم تغذية الآلات بالبيانات بدلاً من أن



تتعلمها أو تدركها مع الزمن. لذا، يمكن القول إنه لا يوجد في الذكاء الاصطناعي شيء اسمه التعلم من التجربة إلا ضمن نطاق محدود جداً ومبرمج مسبقاً.

برز الذكاء الاصطناعي كأولوية تكنولوجية عليا للشركات والمنظمات على مدى السنوات القليلة الماضية، مدفوعاً إلى حد كبير بتوافر البيانات الضخمة وظهور تقنيات جديدة وبنية تحتية متطورة. وذكرت الدراسات أن عدد المنظمات والشركات التي تطبق الذكاء الاصطناعي، نما بنسبة 27 بالمائة في السنوات الأربع الماضية.

الأبحاث المزيفة أصبحت تمثل مشكلة تزداد تعقيداً وانتشاراً مرعباً؛ فقد وجدت العديد من دور النشر العالمية، وخاصة الدار الشهيرة "تايلور آند فرانسيس"، دلائل عديدة على سوء سلوكيات البحث العلمي، بل كل البحوث في كل المجالات.. حتى إن سلوكيات سوء السلوك البحثي زادت في عام 2022 بمقدار عشرة أضعاف ما كانت عليه في عام 2019، وكانت تزييف وفبركة الأبحاث تقف وراء أكثر نصف هذه الحالات.

هناك من الناشرين من يستخدم برامج كشف التزييف البحثي، إلا أن هناك طرقاً أخرى يمكن الاستعانة بها للتأكد من أصالة البحث وخلوّه من التزييف، قد يكون من بينها مطالبة الباحث بتقديم البيانات التجريبية الأولية التي تم استخدامها في البحث، وحبذا لو تكون مطبوعة على ورق مدموغ بعلامات مائية.

ولا عجب أن الذكاء الاصطناعي قادر على توفير مزايا تنافسية كبرى للشركات في سوق العمل، وهو مفيد أيضاً في إنشاء بنى تحتية أكثر كفاءة، وإحداث تأثير إيجابي على مناحي الحياة. لهذا السبب تعمل البلدان والحكومات على صياغة إستراتيجيات وطنية للذكاء الاصطناعي لضمان عدم تفويتها، حيث يتمتع بالقدرة على تقديم نشاط اقتصادي عالمي إضافي بحوالي 13 تريليون دولار بحلول عام 2030، أو حوالي 16 بالمائة من إجمالي الناتج المحلي التراكمي مقارنة.

قالت جامعة "كارديف" إنها واعية لموضوع استخدام الذكاء الصناعي في الأبحاث، ولكن اعترف طلاب جامعيون، بكتابة مقالات بمساعدة برنامج الذكاء الاصطناعي "شات جي بي تي"، وقال طلاب

من جامعة "كارديف" إنهم حصلوا على تقييمات عالية للمقالات المكتوبة، باستخدام برنامج الدردشة الآلي هذا المدعوم بالذكاء الاصطناعي، والقادر على إنتاج ردود شبيهة بالردود البشرية وإنتاج أعمال أكاديمية.

قالت جامعة "كارديف" إنها تراجع سياساتها، وستصدر إرشادات جديدة على مستوى الجامعة قريباً؛ بعد أن قدّم "توم" مقالين يتكون كل منهما من 2500 كلمة، أحدهما بمساعدة روبوت المحادثة، والآخر بدونه. وحصل "توم" على المرتبة الأولى -وهي أعلى مرتبة يحصل عليها في الجامعة- عن المقال الذي كتبه بمساعدة الذكاء الاصطناعي.

وكشف طلب حديث تلقته جامعة "كارديف" ضمن نظام حرية المعلومات، أنه خلال فترة التقييم في يناير 2023، كانت هناك 14,443 زيارة لهذا البرنامج في موقع على شبكات النت الخاصة بالجامعة، في حين لم تكن هناك زيارات مسجلة قبل ذلك بشهر واحد. وعلى الرغم من زيادة الزيارات خلال فترة الامتحانات في يناير، اعتقدت الجامعة أنه لا يوجد ما يشير إلى أن الزيارات كانت لأغراض غير مشروعة.

ذكرت الجامعة: "تم تحديد أن معظم الزيارات تأتي من شبكة أبحاثنا، ومدرستنا لعلوم الكمبيوتر والمعلوماتية -على سبيل المثال- لديها اهتمام أكاديمي ببحث وتدريس الذكاء الاصطناعي".

طالب جامعي آخر اسمه "جون"، اعترف باستخدام البرنامج لمساعدته على إنجاز مهامه، قائلاً: "لقد استخدمته عدة مرات منذ ديسمبر الماضي. أعتقد أنني استخدمته قليلاً في كل عمل أكاديمي أنجزته. لقد أصبح جزءاً من عملي، ومن المحتمل أن يستمر كذلك إلى أن أفقد إمكانية الوصول إليه". وأضاف: "عندما بدأت في استخدامه لأول مرة، طلبت منه كتابة أشياء، مثل مقارنة نظرية متخصصة مع أخرى بطريقة أكاديمية وقد نجح في ذلك. إنه حقاً أداة جيدة للتخلص من الهراء الذي يذهب إليه بعض المحاضرين في النظريات التي لا تحتاج في الواقع إلى التحدث عنها في المقالات. قد يستطيع أن يختصر حوالي 20 بالمائة من الجهد الذي سأحتاج إلى وضعه في مقال. أما بالنسبة لإمكانية افتضاح الأمر، فإني



هناك حدود لما يمكن أن يصل الذكاء الاصطناعي إليه وما لا يمكنه ذلك، مثل القدرة على التحليل والتفكير بالقياس كما يفعل البشر؛ حيث يستطيع الذكاء الاصطناعي معالجة معلومات أكثر من البشر، إلا أن هذا الذكاء لا يداني قدرة البشر على التفكير بالقياس، ويعتبر هذا النوع من التفكير المنطقي المبني على السبب والنتيجة، أعظم قوة للذكاء البشري، إذ يمكن للبشر التفكير في حلول لمشاكل جديدة قد تواجههم في الحياة، قياساً على مواقف سابقة شبيهة حدثت في الماضي، ولعل هذه القدرة غائبة فعلياً عن الذكاء الاصطناعي.

لقد خرج الذكاء الاصطناعي من مختبرات البحوث ومن صفحات روايات الخيال العلمي، ليصبح جزءاً لا يتجزأ من حياتنا اليومية، ابتداءً من مساعدتنا في التنقل في المدن وتجنب زحمة المرور، ووصولاً إلى استخدام مساعدين افتراضيين لمساعدتنا في أداء المهام المختلفة.. واليوم أصبح استخدامنا للذكاء الاصطناعي متأصلاً من أجل الصالح العام للمجتمع.

ولحسن الحظ، إننا وصلنا إلى نقطة فريدة وغير مسبوقه في تاريخ البشرية، فنحن أمام حقبة جديدة تعرف باسم الثورة الصناعية الرابعة، هذه الثورة خلقت لنا فرصة كبيرة لإعادة تشكيل الطريقة التي ندير بها بيئتنا اليوم، حيث يتم تسخير قدرات الرقمنة والتحولات المجتمعية، من أجل حل المشاكل البيئية وإيجاد ثورة في مجال الاستدامة.

متأكد من أن تأثير الذكاء الاصطناعي في عمله لا يمكن اكتشافه.. لا أرى أي طريقة يمكن لأي شخص أن يميز من خلالها بين ما أنجزته بنفسه بشكل كامل، وعملي الذي استعنت فيه بالذكاء الاصطناعي".

رغم كل هذا، يشعر "جون" بالقلق بشأن الوقوع في فخ في المستقبل؛ يذكر أنه إذا تم العثور على نسخ من اتصالاته مع شبكة الذكاء الاصطناعي، فإنه يخشى أن يتم سحب شهادته منه. يقول: "أنا سعيد لأنني استخدمتها في السنة الأخيرة من شهادتي، وأشعر أن تغييراً كبيراً قادماً إلى الجامعات عندما يتعلق الأمر بالمقررات الدراسية، لأنه من السهل جداً الغش بمساعدة الذكاء الاصطناعي".

وقال متحدث باسم الجامعة: "على الرغم من عدم الإشارة إلى الذكاء الاصطناعي على وجه التحديد، فإن الاستخدام غير السليم له سيتم التعامل معه من خلال سياسة النزاهة الأكاديمية الحالية لدينا". نحن ندرك التأثير المحتمل لبرامج الذكاء الاصطناعي على تقييماتنا ودوراتنا الدراسية". وأضاف: "الحفاظ على النزاهة الأكاديمية هو أولويتنا الرئيسية، ونعمل بنشاط على منع أي طالب من سوء السلوك الأكاديمي بأشكاله العديدة".

إن عالم البحث العلمي قبل الذكاء الاصطناعي ليس ذات العالم بعده، فالتغير يطال كل شيء حولنا، ويصل إلى كل القطاعات ليغيرها بشكل نهائي، حيث يمكنه المساهمة في تحسين كل منتج. وفي الواقع فإن الذكاء الاصطناعي قادر على تحويل مستقبل البشرية للأفضل إذا ما أحسن استخدامه.





hiragate.com

هذا البرنامج بالتنوُّ بأزمات التغذية قبل حدوثها. أحد الجوانب الإنسانية أيضًا، استخدام الذكاء الاصطناعي الذي تم الاعتماد عليه بشكل متزايد في الآونة الأخيرة، والذي استطاع عن طريق أدوات الذكاء الاصطناعي من تمكين ذوي الاحتياجات الخاصة بالحصول على الاستقلالية والإنتاجية، وهو نموذج قيد التطبيق حاليًا.

تم تطوير التطبيق من قبل "سايب شيخ"، وهو مهندس برمجيات يدرك شخصيًا معاناة فاقد البصر، حيث فقد بصره في سن السابعة من عمره. وهو الآن يكرس نفسه لاستخدام التكنولوجيا، لبناء عالم أكثر شمولية بمساعدة تطبيقات "مايكروسوفت" للخدمات المعرفية والتعلم الآلي. صنع المهندسون تطبيق "الذكاء الاصطناعي لمساعدة المكفوفين"، الذي يمكن من خلاله قراءة النص بصوت عال، والتعرف على الأشخاص وعواطفهم، إضافة إلى وصف المشاهد اليومية. وعلى غرار مبادرات الذكاء الاصطناعي من أجل الأرض، سوف تسخر "مايكروسوفت" جميع جهودها وخدماتها لدعم المنظمات الخيرية، من خلال المنح المقدمة والشراكات الاستراتيجية والاستثمارات التكنولوجية.

إن الذكاء الاصطناعي اخترع من أجل إمكانية الوصول إلى ما يسعد البشرية جمعاء وتعزيز قدراتهم، إلا أننا نعيش في فترة استثنائية غير مسبوقة من التاريخ، إذ أصبح لدينا -ولأول مرة على الإطلاق- حلول حقيقية لمعالجة بعض من أكبر المشاكل حول العالم. ولقد حان الوقت لجعل الذكاء الاصطناعي يأخذ دورًا رياديًا إيجابيًا في خدمة الإنسانية وإنقاذ كوكبنا. ■

(\*) سفيرة بوزارة الخارجية المصرية / مصر.

#### المراجع

- (1) Science Direct.
- (2) Patrick Gensing. "Deepfakes: Auf dem Weg in eine alternative Realität?". 2023-2.
- (3) Schwartz, Oscar (2022). "You thought fake news was bad? Deep fakes are where truth goes to die".
- (4) Kharpal, 4-Arjun (2022) "It took us less than 30 seconds to find banned 'deepfake' AI smut on the internet".

وإدراكًا لهذه الفرصة الفريدة، أعلنت كلٌّ من "مايكروسوفت" و"ناشونال جيوغرافيك" عن شراكة جديدة؛ للمضي قدمًا في الأبحاث التي تدور حول التحديات الكبيرة من خلال استخدام قوة الذكاء الاصطناعي. أحد الذين حصلوا على منحة الابتكار في الذكاء الاصطناعي من أجل الأرض، هو "سولومون هسيانج"، حيث تركزت أبحاثه على فهم تأثير تغير المناخ على هجرة البشر في إفريقيا. ولقد استعان "سولومون" بـ ١,٦ مليون صورة جوية تاريخية جمعتها القوات الجوية الملكية البريطانية، التي استخدمتها طائرات تجسس أثناء الحربين العالميتين، من أجل مسح الدول التي كانت خاضعة للحكم البريطاني آنذاك. ونتيجة لذلك تم التقاط ملايين الصور للمشهد الأرضي على مدار القرن الماضي في جميع أنحاء إفريقيا.

إحدى الحاصلات -أيضًا- على منحة للبرنامج "الابتكار في الذكاء الاصطناعي من أجل الأرض" الدكتورة "ميرس لونجاو"، وهي عالمة تغذية وعالمة أبحاث في المركز الدولي للزراعة الاستوائية. تستخدم "ميرس" الذكاء الاصطناعي لإيجاد حلّ لسوء التغذية وهي أحد أكبر مشاكل إفريقيا المعاصرة. قامت "ميرس" بتوظيف الذكاء الاصطناعي لدعم برنامجها التشخيصي "نظام الإنذار المبكر للتغذية"، حيث يقوم



## تقدير الذات بين الأنانية والإيثار

من نعم الخالق على عبده منحه المقدرة على معرفة ذاته ووضعها في مكانها اللائق بها؛ لأن جهل المرء نفسه وعدم معرفته بقدراته يؤدي إلى تقييم ذاته التقييم الخاطئ، فإما يبالغ في قيمتها فيثقل عليها، وإما يقلل قيمتها فيسقط من مستواها. والحقيقة أن جهدنا وعطاءنا يتأثر بشكل سلبي أو إيجابي بتقديرنا لذواتنا، فكلما ازدادت المشاعر الإيجابية تجاه ذاتنا ازدادت ثقتنا بأنفسنا، وكلما ازدادت المشاعر السلبية قلت ثقتنا بأنفسنا. من هذا المنطلق، فتقدير الذات وتكريمها من أولى الدعائم للإنسان السوي نفسيًا وأخلاقيًا، وإن لم يستطع الإنسان تقدير ذاته واحترامها بحق، فلن يتمكن



-حينها- من حب وتقدير الآخرين مهما حاول. إن الإنسان المقدر والعارف ذاته قادر على التمييز والإبداع، وقادر على تطوير الثقة بالنفس، وبالتالي يتمتع بشخصية اجتماعية راقية، يحث على العيش من أجل الآخرين والتعايش بأمن وسلام.. إنه يجيد التفكير ووضع الحلول للمشاكل والأزمات، ناظرًا إلى الحياة بتفاؤل وإيجابية.. يعتمد على نفسه من جانب، ومن جانب آخر لا يتردد في منح الدعم للآخرين وتقبُّل المساعدة منهم عند اللزوم.

### تقدير الذات لا يعني الأنانية

قد لا يستطيع الكثير من الناس التفريق بين تقدير الذات والأنانية، مما يؤدي إلى الخلط بينهما والاعتقاد بأنهما وجهان لعملة واحدة.. بينما الفرق بين الأناني والإنسان المقدر لذاته شاسع كما بين الثرى والثريا؛ حيث الأناني يرى الآخرين على أنهم أعداء ومنافسون له، ويسعى إلى الحصول على أعلى المناصب والمراكز ولو على حساب الآخرين، وكذلك يعمل على إقصاء أو تخريب من يراهم منافسين له من أجل تحقيق أهدافه، ويبحث دائماً عن الأسباب التي يثبت من خلالها فشل الآخرين.. بينما الإنسان الذي يحترم ذاته ويكرّمها، دائم التركيز على تطوير نفسه ومهاراته وقدراته ليحقق أهدافه دون أن يقلل من شأن الآخرين، بل على العكس، يتعاون معهم ويقدر نجاحهم، ويقدم الدعم لهم ويساعدهم على تحقيق أهدافهم بكل حب ورضى.

تقدير الذات هو تكريم الذات واحترامها، إذ عندما نقدر أنفسنا، فهذا يعني أننا نؤمن بقدراتنا وإمكاناتنا، ومن ثم نسعى إلى تطويرها وتحسينها. ومن وجهة أخرى، تقدير الذات لا يعني العزلة عن الناس، إنما القدرة على التواصل بشكل صحي، وبناء علاقات إيجابية معهم.. كما أن تقدير الذات وتكريمها يدفع الإنسان إلى العطاء وبذل الجهد والعيش من أجل الآخرين. والأهم من ذلك كله، تقدير الذات وتكريمها يتطلب التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة محيطه، بين حقوق الذات وواجباتها، بين المطالبة والعطاء، بين الاستقلالية والتعاون.. كل ذلك يعني أن تقدير الذات رحلة طويلة وضرورية لحياة سعيدة صحية، زاخرة بالتعلم والتطور والتحسين.. رحلة تبدأ من داخل الإنسان لتنعكس على عالمه الخارجي.

من المعروف أن النفس أمانة بالسوء، وهي تميل إلى الطبيعة البدنية وتأمر صاحبها بالملذات الحسية فتوقعه في كمين الأنانية.. ولكن نظرة الإنسان المحترم لذاته تختلف عن نظرة الإنسان الأناني؛ حيث الإنسان المقدر لذاته يثق بنفسه فيعمل على تهذيبها دون أن تتعالى على الآخرين، بينما الأناني يرى أنه منزّه عن الأخطاء فلا يسعى إلى تهذيب نفسه، ويريد النجاح له فقط على أكتاف الآخرين. وأدل مثال على الأنانية جواب إبليس لربه في قصة السجود لآدم عليه السلام: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (الأعراف: ١٢)؛ إن الأنانية هي التي منعت إبليس من السجود لآدم عليه السلام، ودفعته إلى عصيان أمر الله تعالى.

### الإيثار وحب الآخر

لقد حث الإسلام على مكارم الأخلاق والإيثار وحب الآخر، وأمر بالابتعاد عن الأثرة والأنانية. وللإيثار فضل عظيم ينعم به الفرد والمجتمع، حيث يوثق الترابط بين أفراد المجتمع ككل. يروى في "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما نزل الجحفة وهو شاكٍ فقال: إني لأشتهي حيتاناً، فالتمسوا له فلم يجدوا له إلا حوتاً واحداً، فأخذته امرأته



**الإنسان المقدر لذاته يثق بنفسه فيعمل على  
تهذيبها دون أن تتعالى على الآخرين، بينما  
الإنسان الأناني يرى أنه منزه عن الأخطاء فلا  
يسعى إلى تهذيب نفسه، ويريد النجاح له  
فقط على أكتاف الآخرين.**

حراه

صفيه بنت أبي عبيد فصنعته، ثم قرّبتة إليه،  
فأتى مسكين حتى وقف عليه، فقال له ابن  
عمر: خذه، فقال أهله: سبحان الله، قد عينتنا  
ومعنا زاد نعطيه، فقال: إن عبد الله يحبه.

نرى في هذه السطور المعبرة؛ كيف تحول  
الإيثار إلى تفويض بالمصلحة الشخصية  
لصالح المصلحة العامة أو مصلحة الآخر،

ليصبح فضيلة أخلاقية راقية.. لأن الإنسان المؤثر يشعر بالقوة والثقة والإيجابية، ويحاول نشر  
ذلك بالمشاركة والتعاون والتضحية، وهذا -بطبيعة الحال- يرسخ التأزر والتضامن والتعاقد مع  
أفراد المجتمع، وكسب الثقة والاحترام.

وثمة مجال للتوازن بين الأنانية والإيثار يسمى بتكريم الذات أو حبها الصحي، وهو مفهوم يشير إلى  
التوافق بين احترام الذات وحب الآخر. فالإنسان الذي يتحلى بالاحترام لذاته بصورة صحية، يقدر نفسه  
ويرضى عنها، وبالتالي يرمى مصالحه ورفاهيته دون أن يغض الطرف عن مصالح ورفاهية الآخرين،  
ليحظى بحياة سعيدة متوازنة من جانب، ومن جانب آخر ليساهم في سعادة الآخرين ورفاهيتهم.

### التوازن بين الأنانية والإيثار

التوازن هو أفضل السبل لتحقيق السعادة والنجاح في الحياة. وبالنسبة لتكريم الذات والإيثار،  
فإن التوازن يعني أن نعتني بأنفسنا ونهتم باحتياجاتنا، وفي الوقت نفسه نساعد الآخرين ونسعى  
إلى تحقيق مصالحهم. كما أن التوازن بين الأنانية والإيثار، يتطلب من الفرد أن يكون على علم  
ودراية تامة باحتياجاته واحتياجات الآخرين، وبالتالي أن يكون صادقاً مع نفسه ومع الآخرين.  
عندما يكون الإنسان صادقاً مع نفسه، يتمكن من فعل ما هو الأفضل له، وعندما يكون صادقاً مع  
الآخرين، فذلك يجنبه استغلالهم والانتفاع بهم بغير حق.

يرى العلماء أن الأنانية هي الميل إلى تفضيل المصالح الشخصية على المصالح العامة أو  
الجماعية، والتمسك بالحقوق دون الواجبات، والسعي إلى تحقيق الرغبات دون مراعاة الضوابط  
الأخلاقية أو الشرعية.. وأن هذه الصفة هي مصدر كل الشرور والمفاسد في الفرد والمجتمع،  
تؤدي إلى تدمير الروابط الإنسانية والاجتماعية والدينية. أما الإيثار فهو التضحية بالمصلحة  
الشخصية أو جزء منها لصالح المصلحة العامة أو الجماعية، والقيام بالواجبات دون التطلع إلى  
الحقوق، والسير على طريق الحق دون خوف أو حساب.. فيتحول الإيثار بذلك إلى مظهر من  
مظاهر الإيمان والتقوى والكمال، ويبني مجتمعاً مثالياً متألماً متضامناً ومتحضرًا.

وللإيثار أهمية كبيرة في حياة الإنسان؛ أولاً الإيثار صفة إنسانية حميدة تجعل الإنسان سعيداً  
وراضياً عن نفسه، كما يساعد على بناء مجتمعات أكثر عدلاً وسلاماً. ثانياً الإيثار ينطلق من حب  
الخير للآخرين، ولا يهدف إلى تحقيق مكاسب شخصية أو اجتماعية، فإنه ينطوي على التنازل عن  
بعض الرغبات والراحة من أجل الآخرين.

### الأنانية وأثرها على النفس

تؤدي الأنانية إلى العديد من الآثار السلبية على النفس البشرية، منها الشعور بالوحدة والانعزال عن

الناس، عدم الرضا عن النفس والبعد عن الشعور بالسعادة، صعوبة التواصل مع الآخرين والتخلي عن بناء علاقة صحية، الشعور بالذنب وعدم الراحة، الانطواء والانعزال وعدم الرغبة في التفاعل مع المحيط، الاضطرابات النفسية وفقدان الثقة بالنفس، المشاكل الاجتماعية واستخدام العنف، التدهور الاقتصادي وارتفاع معدلات الفقر، تدهور البيئة والاستهلاك المفرط للمواد الطبيعية، الصراعات المسلحة على الموارد الطبيعية أو الثروات التي يؤدي إلى الحروب والنزاعات ومن ثم القتل والدمار. إذن، الأنانية صفة سلبية تؤدي إلى العديد من الآثار السلبية على النفس الإنسانية والمجتمع ككل. ولذلك، من المهم السعي وراء التغلب على الأنانية، وتنمية الصفات الإيجابية مثل الإيثار والرحمة والحب.

### كيف نتغلب على الأنانية؟

يجب أن نؤكد أولاً على عدم خلو الإنسان من الإيجابيات والسلبيات، فالكمال لله وحده سبحانه، ولكن يظل العمل الدؤوب والمستمر من أجل الاقتراب من الكمال البشري. وثمة العديد من الطرق التي تمكن الإنسان من التغلب على أنانيته، منها:

أ- الوعي الذاتي: من المهم أن يكون الإنسان على دراية بصفاته وأنانيته. ويمكن القيام بذلك من خلال مراقبة أفكاره ومشاعره وسلوكياته، والتفكير في كيفية تأثيرها على الآخرين.

ب- تنمية الوعي الاجتماعي: ينبغي أن يكون الإنسان على وعي بمشاعر الآخرين واحتياجاتهم. ويتحقق ذلك بالاستماع إلى الآخرين باهتمام، ووضع نفسه في مكانهم.

ج- الممارسة والتطبيق: يمكن التغلب على الأنانية من خلال الممارسة، وذلك بالإيثار وتقديم المساعدة للآخرين، والتفكير في مصالحهم قبل المصالح الخاصة.

د- الامتنان وتنمية الشعور بالرحمة: يساعد الشعور بالامتنان في تقليل التركيز على الذات وتنمية الشعور بالرحمة تجاه الآخرين.

هـ- تطوير علاقات قوية مع الآخرين: العلاقات القوية تنمي الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين، ومن ثم تعزز الشعور بالسعادة والانتماء.

و- البحث عن المعنى والهدف في الحياة: البحث عن المعنى والهدف في الحياة، يساعد الإنسان على تركيز ما هو أكبر منه، وتطوير عنصر المودة تجاه الناس.

نتوصل من كل ما ذكرناه إلى أن التغلب على الأنانية ليس بالأمر السهل، ولكنه أمر ممكن، يحتاج فقط إلى الوعي الذاتي والممارسة وبذل الجهود.. ومن خلال السعي إلى التغلب على أنانيتنا، يمكننا أن نجعل العالم مكاناً أفضل لجميع البشر. كما أن تقدير الذات والإيثار ليسا سلوكين منفصلين، بل هما وجهان لعملة واحدة. عندما نقدّر أنفسنا، لا شك أننا نشعر بالرحمة والرأفة تجاه الآخرين، الأمر الذي يدفعنا إلى مساعدتهم ومؤازرتهم. وعندما نساعد الآخرين، فإننا نشعر بالتقدير والاحترام لأنفسنا، وهذا ما يعزز احترام الذات لدينا. ولذلك فتقدير الذات والإيثار، هما سلوكان متكاملان يتم كل منهما الآخر.. إذن، لا بد من نبذ الأنانية وتحقيق الإيثار في كل مجالات الحياة، لأنه السبيل الوحيد لترسيخ الحب والسلام بين البشر، ولبناء حضارة لبناتها القيم الإنسانية النبيلة. ■

(\*) كاتب وباحث تركي.



## فتح الله كولن ومنهجه في علم الكلام

التي تعرّض لها "كولن" في أغلب خطبه ومحاضراته وكتبه؛ نظراً لأهميتها عنده، "فلا مجال للحركة دون عنصر العقيدة التي تقوم بمهمة توجيه الفعل والحركة". ولـ"كولن" مؤلفات في باب العقيدة غير خطبه وفتاويه ومقالاته، منها: "أسئلة العصر المحيرة"، عدة أجزاء، وقد ترجم إلى العربية. "القدر في ضوء الكتاب والسنة"، وقد ترجم إلى العربية. "في ظلال الإيمان"، لم يترجم بعد. "البعد الميتافيزيقي للوجود"، لم يترجم بعد. "نفخة البعث شواهد الحياة بعد الموت"، وقد ترجم إلى العربية. وفي عرض "كولن" لأبواب العقيدة سمات تميز بها، وتضعه واحداً بين العلماء المعاصرين الذين أسهموا في تجديد عرض هذا العلم لغة وأسلوباً وممارسة، يمكن إجمالها على النحو التالي:

١- الخطاب في مستوى إدراك العموم: فكلامه في قضايا العقيدة واضح يفهمه العامة قبل المتخصصين. "فالأستاذ فتح الله مسلم سنّي ماتريدي العقيدة، لكنه عندما يتكلم

علم الكلام من العلوم الرفيعة القدر عند المسلمين إذ هو يتصل بأشرف الغايات، يقول الإيجي: "وإن أرفع العلوم وأعلاها وأنفعها وأجداها وأحراها، بعقد الهمة بها، وإلقاء الشراشر عليها (ألقى عليه شراشره أي نفسه بالكلية حرصاً ومحبة)، وإدآب النفس فيها، وصرف الزمان عليها علمُ الكلام المتكفّل بإثبات الصانع وتوحيده وتنزيهه عن مشابهة الأجسام، واتصافه بصفات الجلال والإكرام، وإثبات النبوة التي هي أساس الإسلام، وعليه مبنى الشرائع والأحكام، وبه يترقى الإيمان باليوم الآخر من درجة التقليد إلى درجة الإيقان، وذلك هو السبب للهدى والنجاح والفوز والفلاح".

وقد سار على الدرب "فتح الله كولن" في تقديره لهذا العلم الجليل، فقد اعتبر علم الكلام أحد المصادر الأساسية للثقافة الذاتية للمسلمين، ورأى أنه مصدر رحب ومعطاء في ميراث ثقافتنا. لذا كانت العقيدة من أهم القضايا

ع



ربط فتح الله كولن علم الكلام وقضاياه بالسلوك الذي يتوجب أن ينعكس في كل عمل وفي كل مشروع . ولذلك نجد لا يبحث إلا في القضايا التي يبنى عليها عمل، ولا يبحث في القضايا الجدلية المذمومة.

حده

بالخالق، وفائدتها في تقوية هذا الإنسان، حتى يكون كائنًا يحسن معرفة الخالق من خلال مكونات الكون والوجود، وبين ما لا فائدة عملية ترجى من خلاله.. ولذلك عندما تطرح عليه أسئلة متعلقة بذات الله أو أمور غيبية، يعتبرها نوعًا من سوء الأدب مع الله.

٤- استخدام الحقائق العلمية: دائمًا ما يشفع "كولن" رؤيته في المسائل العقديّة بشرحها بطريقة علمية منطقية قريبة من مستوى إدراك الإنسان. فقد استخدم العلوم في إثبات وجود الله وصفاته، وفي إعجاز القرآن الكريم وغيره. وحث كل العلماء الباحثين في الأمور الدينية، على استخدام العلم باعتباره وسيلة وأداة لشرح الدين؛ لأن عقل الإنسانية الآن مرتبط به، ثم إنه لا عداء عندنا بين العلم والدين، وقد وضع "كولن" ضابطين لتفسير الإسلام بالعلوم، وهما:

الأول: يجب استعمال هذا الأسلوب باعتباره وسيلة وأداة فقط، والابتعاد عن محاولة استعماله لإظهار علمنا والتفاخر به؛ لأن الحقائق الإيمانية تفقد أنوارها حينئذ، ولن تؤثر على المستمعين، لأن النيات ليست خالصة على حد تعبير "كولن".

الثاني: عدم الدخول في عقدة أن الجميع يتكلمون على العلم والتقنية، فمن ثم نتهاك على العلوم لتقوية العقيدة، فهذا الفهم غير صحيح. فينبغي عدم الارتياح في مبادئنا، فالعلم والتقنية خادمان لطريقنا، أما اعتبارهما أصلاً ثابتاً، ومبادئنا شيئاً تابعاً يحتاج إلى تصديق العلم، فأمر غير مقبول: "إن كلام الله وكلام رسوله حق لا ريب فيه، والعلوم صحيحة بقدر تلاؤمها معها، وغير صحيحة بدرجة انحرافها عنهما، وحتى القسم الصحيح من العلوم لا يعد قواعد أو مستنداً تستند إليه الحقائق الإيمانية، فهي تلعب دوراً في زيادة التأمل والتفكير في المسائل الإيمانية، أما الذي يضع نور الإيمان في قلوبنا فهو الله ﷻ". لذا يجب النظر إلى العلوم وجميع الأدلة العلمية وعدّها تابعة، واعتبارها وسيلة لإزالة الغبار فقط عن الحقائق الإيمانية، فالإنسان مؤمن، بما استقر في قلبه، وليس بالمعلومات المتراكمة في عقله.

٥- استخدام العقل والمنطق: دأب "كولن" في درس العقيدة على الإقناع بالمنطق والعقل، ودعم المتلقي بكل

في العقيدة الأشعرية تحسبه أشعرياً كما يخبر بذلك بعض تلامذته. فالأستاذ "كولن" - وإن كان ماتريدي العقيدة- يعمل على بناء رؤية عقديّة تسجّم مع روح المشروع الإصلاحية الذي يتبنّاه، وهو المشروع الذي يتطلب أن تكون قضية العقيدة فيه أمراً يسهل استيعاب العموم له، خاصة إذا استحضرنّا أن الأستاذ "فتح الله" يخاطب عموم الناس، وإن كان يخص المقربين منه بمستويات خطاب عالية في الجلسات الخاصة، لكنه في مواعظه، وفي الخطب المنبرية، وفي المحاضرات، وفي غير ذلك من المناسبات التي يكون العموم أكثر حضوراً، يحرص أن يكون الخطاب في مستوى إدراك العموم".

٢- متعدد المصادر: مع أن بعض الباحثين ومحبي "كولن" نسبوه إلى "الماتريديّة"، إلا أنه لم يصرح بانتماؤه إلى أي مذهب أو فرقة، إضافة إلى أنه لا يتقيد بمصدر واحد أو مذهب محدد، بل يستقى من الجميع، كأن شعاره "الحكمة ضالة المؤمن". لذا فإن "منهج الأستاذ كولن" في باب العقيدة، منهج متجدد يستفيد من مصادر كثيرة؛ من بينها بديع الزمان سعيد النورسي الذي كان موضوع التوحيد والعقيدة من أهم ما ركز عليه في رسائله.

"إذا كان النورسي هو متكلم العصر الحديث - كما يذكر ذلك الدكتور محسن عبد الحميد- فإن فتح الله كولن قد استفاد كثيراً من أفكار النورسي، لكنه طبعها بشخصيته، وصبها في قالب خاص يمزج بين المقاربة العقلية، والحقيقة العلمية، وضوابط الإقناع والحوار، مستفيداً في ذلك من الخطاب القرآني، ومنهجه في ذلك، ومسترشداً بالمنهج النبوي في إضاءة هذا الخطاب".

٣- عدم الخوض فيما لا فائدة منه: يرى "كولن" عدم جدوى الجدل المذموم والاشتغال بما لا فائدة فيه؛ حيث يميز بين المسائل العقديّة التي تربط الإنسان

ما يقرب الأفكار، من خلال ذكر أمثلة عقلية لا يختلف حولها العقلاء، ومنهج المقارنة الضمنية التي تحتاج العقل والدليل الملموس، وعدم معارضة المنطق العلمي وقواعده.

٦- ربط العقيدة بالسلوك: وذلك أبرز ما نجده في تجربته، إذ "ربط فتح الله كولن علم الكلام وقضاياه بالسلوك الذي يتوجب أن ينعكس في كل عمل وفي كل مشروع". ولذلك نجده لا يبحث إلا في القضايا التي يبنى عليها عمل، ولا يبحث في القضايا الجدلية المذمومة.

٧- ربط العقيدة بالتربية الروحية: في دراسة "كولن" لقضايا العقيدة، نجده يركز على بناء الإنسان روحياً، ولذلك تجد قضايا العقيدة ممتزجة بالتصوف كثيراً. "لقد قدم فتح الله كولن علم التوحيد والعقيدة الإسلامية، وفق نمط منسجم مع المشروع المركزي وهو بناء الإنسان روحياً ووفق نمط يجعل من هذا الإنسان مخلوقاً فاعلاً في الكون والوجود، ووفق نمط تتجلى فيه حقيقة "الإنسان العبد لله" المكلف بمهمة إعمار الأرض ونشر الفضيلة".

لذا، يعدُّ فتح الله كولن من أبرز من استخدم منهجية علم الكلام الجديد في عرضه، لموضوعات العقيدة بوضوح ومنطقية، وروح علمية تتناسب مع روح العصر، وعمق روحي، وعملي يتناسب مع رؤاه في بناء الإنسان الكامل من جميع جوانبه العقدية والعلمية والروحية والسلوكية. والناظر لما كتب عن علم الكلام الجديد وما يتطلبه من منهج، يلحظ أن هذا هو نفس أسلوب "كولن"، فمثلاً لو نظرنا إلى كلام الدكتور عبد الحميد مدكور في مقاله حول التجديد في علم الكلام، نجده يضع مخططاً لهذا التجديد يشتمل على:

أ- أن يتم التعريف بالعقائد الإسلامية والبرهنة على صحتها، والرد على المخالفين من القدامى والمعاصرين بلغة ميسرة تتسم بالوضوح والسهولة، والبعد عن المصطلحات الصعبة المعقدة المجلوبة من فلسفات وثقافات أجنبية، والاستعانة -بدلاً عنها- بالبراهين الشرعية والعقلية الصحيحة، ولا مانع عند الحاجة من استخدام منجزات العلم الحديث دون تكلف، والاستعانة بحقائق التاريخ الدالة على فطرية الإيمان في النفس البشرية، وبدراسات تاريخ الأديان التي تكشف عن كمال عقيدة الإسلام، ويقتضي هذا تطوير الأدلة والوسائل للرد على

الملاحدة والماديين المعاصرين، ودعاوى المستشرقين والعلمانيين والعولمين وغيرهم، ولن يتم ذلك إلا بالدراسة العميقة لآراء المخالفين والإحاطة بدقائقها.

ب- التخفف من التعصب المذهبي حتى لا نظل في دائرة علم الكلام القديم، وتثار النزعات بين أشاعرة، وماتريديّة، ومعتزلة، وسلفية جدد.. ومن ثم تنتهي نزعة التكفير الموجودة بين المعاصرين، والتفرغ للمعارك التي لا بد من خوضها ضد من يسمون الإسلام بالإرهاب والعنف، ومعاداة الحضارات الأخرى، وعدم الاهتمام بحقوق الإنسان.

ج- أن تكون محاولات التجديد في المنهج أو القضايا أو في الوسائل، مشروطة بالحفاظ على ثوابت العقيدة. ومن هنا فتجديد علم الكلام ليس هدماً له، بل تطويراً في قضايا وطرقه في الاستدلال، ليكون علماً معاصراً قادراً على مواجهة الشبهات العصرية.

وإذا أردنا المقارنة بين ما يأمله الدكتور عبد الحميد مدكور، وما قام به فتح الله كولن، نجد "كولن" يتمثله حذو القذة بالقذة؛ ف"كولن"، أولاً يستخدم أسلوباً واضحاً، ويستخدم أدلة شرعية وعقلية واضحة، ويستدل بالتاريخ، وبدراسات الأديان، وبالعلم الحديث. وثانياً لا يتطرف ولا يتعصب لأي مذهب أو طريق، بل يعرض قضايا العقيدة دون جدل ودون تمذهب لأي جهة أو شخص. وثالثاً يوجه جهوده نحو الرد على المخالفين، ويرد الشبهات المثارة ضد الإسلام، فيتحدث عن الإرهاب، وحوار الحضارات، وحقوق الإنسان، وغيرها.. وبناء على ذلك يمكن القول بأن جهود "كولن" تعدُّ مساهمة في بناء علم الكلام الجديد. ■

(٢) مدرس العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر / مصر.

#### المراجع

(١) السيد الشريف الجرجاني: شرح المواقف للقاضي عضد الدين الإيجي ومعه حاشية السيالكوتي والحلي، المجلد الأول، ضبطه وصححه: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان ١٩٩٨م-١٤١٩هـ.

(٢) ونحن نبني حضارتنا، محمد فتح الله كولن، ترجمة: عوني عمر لطفي أوغلو، دار النيل، القاهرة ٢٠١٢م.

(٣) أشواق النهضة والانبعث قراءات في مشروع الأستاذ فتح الله كولن، محمد جكيب، دار النيل، القاهرة ٢٠١٣م.

(٤) أسئلة العصر المحيرة، محمد فتح الله كولن، دار النيل، القاهرة ٢٠١٣م.



## الصحة النفسية في بيئة العمل

"لجميع العاملين الحق في بيئة آمنة وصحية في العمل، ويدعم العمل اللائق الصحة النفسية الجيدة" (منظمة الصحة العالمية).

تعد الصحة النفسية للموظفين عاملاً حاسماً في صحتهم العامة، إذ يمكن أن يكون ضعف الصحة النفسية والضغوطات في مكان العمل، عاملاً مساهماً في مجموعة من الأمراض الجسدية، مثل ارتفاع ضغط الدم، والسكري، وأمراض القلب والأوعية الدموية، وغيرها... بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يؤدي ضعف الصحة النفسية إلى الإرهاق بين الموظفين، مما يؤثر بشكل خطير على قدرتهم على الإسهام بشكل هادف في حياتهم الشخصية والمهنية.

تشير البيانات الواردة من بلدان مختلفة حول العالم، إلى أن مشاكل الصحة النفسية هي سبب لتسرب عدد من الموظفين من العمل. ففي هولندا، حوالي ٥٨٪ من الإعاقات المتعلقة بالعمل مرتبطة بالصحة النفسية، وفي المملكة المتحدة، تشير التقديرات إلى أن حوالي ٣٠-٤٠٪ من الغياب بسبب المرض يُعزى إلى شكل من أشكال المرض النفسي.





**الاهتمام بالصحة النفسية داخل بيئة العمل،  
يجعل الأفراد قادرين على تجاوز الانتكاسات  
داخل هذه البيئة، ويؤهلهم لمواجهة  
التحديات المتنوعة، مما يعزز من قدرات  
الموظفين ويحقق إنتاجاً أعلى وأفضل.**

حذاء

الإنتاجية والأداء التنظيمي، حيث يمنعون إنجاز العمل الجيد ويسببون إرباكاً لمروؤوسيتهم المباشرين، ويتسببون في جعل الموظفين مرهقين وخائبي الأمل ومحترقين، بسبب الفوضى التي يخلقونها، وقد يكلفون الشركات مليارات الدولارات من الإنتاجية المفقودة كل عام.

ولكن قد يكون حل مشكلة التعامل مع مدير صعب المراس أسهل بكثير من خلال تحسين مهارات الاتصال، كما أن إجراء محادثة صادقة قد يحدث فرقاً. ففي بعض الأحيان، قد يحدد المدير أهدافاً غير حقيقية، لكن يمكن للمناقشة الصادقة أن تبرز المواعيد النهائية التي يمكن الوفاء بها. كما يمكن للمهام التي لا تشكل جزءاً من دور الموظف أو مجموعة مهاراته أن تسبب التوتر أيضاً، غالباً ما تجعل الشركات موظفيها يقومون بمهام متعددة، لكن هذا قد يؤثر على قدرتهم على الإنجاز. إن التواصل مع المدراء حول هذا الأمر في أقرب وقت، هو أفضل طريقة لحل هذه المشكلة.

## ٢- مشاكل في العلاقات مع الزملاء

قد يكون السبب الآخر هو الزملاء، أو زملاء العمل الصعبين، فقد يكون التعامل مع زميل صعب المراس في العمل أكثر صعوبة بعض الشيء، لأن أداءه غالباً ما يتعارض مع نفسه، مرة أخرى، يجب حل هذه المشكلة من خلال مناقشة ودية تنتهي بالاتفاق المتبادل، ويمكن للمرء أن يشرح للزميل كيف يمكن أن يحصل الفريق على فوائد أكثر بكثير من الانغماس في المنافسة، ولكن إذا خرجت الأمور عن نطاق السيطرة، فيجب إخطار المدير المعني بذلك.

## ٣- الصراع بين العائلة والعمل

تكافح العائلات للتعامل مع عالم متزايد التعقيد، ويجتهد الأفراد من أجل إيجاد التوازن الصحيح بين

ومن هنا فالاهتمام بالصحة النفسية داخل بيئة العمل، يجعل الأفراد قادرين على تجاوز الانتكاسات داخل هذه البيئة، ويؤهلهم لمواجهة التحديات المتنوعة، مما يعزز من قدرات الموظفين ويحقق إنتاجاً أعلى وأفضل. هذا بالإضافة إلى أن التوعية بأهمية الصحة النفسية، يحافظ على الرشاقة الذهنية في أذهان فريق العمل، ويولد نوعاً من الإيجابية لديهم عند القيام بمسؤولياتهم المتنوعة، ويحفز الجميع على الالتزام بمهامه جيداً، مع اقتداره على إدارة التوتر، وتحويل الضغوط في العمل إلى عامل تحفيز لا إلى عوامل إجهاد.

فالإجهاد المرتبط بالعمل يعد سبباً رئيسياً لاعتلال الصحة المهنية وضعف الإنتاجية والأخطاء البشرية، وهذا يعني زيادة الغياب بسبب المرض، وارتفاع معدل دوران الموظفين، وضعف الأداء في المؤسسة وزيادة احتملة في الحوادث بسبب الخطأ البشري.

كما يمكن أن يظهر الإجهاد المرتبط بالعمل أيضاً، على شكل أمراض القلب، أو آلام الظهر، أو الصداع، أو اضطرابات الجهاز الهضمي، أو أمراض طفيفة مختلفة.. بالإضافة إلى التأثيرات النفسية، مثل القلق، والاكتئاب، وفقدان التركيز، وضعف اتخاذ القرار.

والإجهاد هو رد الفعل السلبي لدى الناس تجاه الضغوط المفرطة، أو أنواع أخرى من المطالب المفروضة عليهم. هناك فرق واضح بين الضغط الذي يمكن أن يكون عاملاً محفزاً، والإجهاد الذي يمكن أن يحدث عندما يصبح هذا الضغط مفرطاً.

وفي رصد لتقييم مستوى ضغوط العمل والتدابير الواجب اتخاذها للسيطرة عليها على نطاق واسع، تم استخدام أداة تعرف بمقياس ضغوط العمل (WSS) تتيح للأفراد تقييم مستوى ضغوط العمل، ومدى درجة الضغط الذي يواجهونه في المجالات الواسعة التالية:

## ١- مشاكل في العلاقات مع المدراء

من الأسباب الأكثر شيوعاً لضغوط العمل، هو التعامل مع مدير صعب المراس، فالمدراء السيئون يخلقون حالة نفسية سيئة تخنق الإبداع وتقتل الابتكار، ففي حين يعتقد هؤلاء أنهم يطالبون بأداء أعلى من أجل مصلحة العمل، إلا أن لديهم -في الواقع- تأثيراً معاكساً وسلبيًا على

العمل والمسؤولية العائلية. فالقضايا المنزلية يمكن أن تؤثر على العمل، حيث تسهم العلاقة بين العمل والأسرة في خلق المناخ النفسي في العمل، في حين أن المناخ النفسي المناسب يخلق تصور السلامة النفسية داخل المؤسسة، وتعتبر المؤسسة تتمتع بمناخ آمن نفسياً عندما يشعر الموظف أن بيئة العمل تكمل رفاهيته. وفي غياب المناخ النفسي الملائم، فمن المرجح أن يكون مستوى الأمان النفسي منخفضاً. فعندما تنعكس ضغوط العمل لدى الأفراد على علاقتهم بأفراد الأسرة، فإن تقليل فعالية أدوارهم في العمل والأسرة قد يضر بسلامتهم النفسية. ومن المعلوم أن السلامة النفسية تعد ظرفاً نفسياً حاسماً "يشكل كيفية قيام الأشخاص بأدوارهم في المؤسسة".

وفي هذا الصدد، يجب أن يكون المديرين وممارسو الصحة المهنية، على دراية بالصراع بين العمل والحياة الأسرية، مع مراعاة الخصائص الديموغرافية للقوى العاملة، إذ تعد ثقافة العمل والحياة الداعمة، أمراً مهماً لجميع الموظفين. وهنا يمكن أن تساعد الموازنة بين العمل والمنزل من خلال تخصيص الوقت المناسب لكليهما، في تقليل التوتر؛ فالشعور بالسيطرة على أنشطة العمل والأسرة يعزز الصحة النفسية.

#### ٤- ارتفاع الطلب على الأداء

التوقعات غير الواقعية، خاصة في وقت إعادة تنظيم الشركات، والتي -في بعض الأحيان- تضع ضغوطاً غير صحية وغير معقولة على الموظف، يمكن أن تكون مصدراً هائلاً للتوتر والمعاناة. فزيادة عبء العمل وساعات العمل الطويلة للغاية، والضغط الشديد لأداء أعلى طوال الوقت وبنفس الأجر، يمكن أن يؤدي في الواقع إلى استنزاف الموظف جسدياً وعاطفياً، كما يسهم السفر المفرط والوقت الطويل بعيداً عن العائلة، في زيادة الضغوط التي يتعرض لها الموظف.

#### ٥- انعدام الأمن الوظيفي

تشهد أماكن العمل تغيرات متحولة في ظل التحولات الاقتصادية المكثفة والضغوط اللاحقة، حيث أصبحت عمليات إعادة التنظيم وعمليات الاستحواذ والاندماجات والتغيرات الأخرى، من الضغوطات الرئيسية للموظفين، حيث تحاول الشركات الارتقاء إلى مستوى المنافسة من

أجل البقاء. وقد فرضت هذه الإصلاحات ضغوطاً على الجميع، بدءاً من الرئيس التنفيذي وحتى المدير المباشر.

#### ٦- القيود البيروقراطية

الحجم التنظيمي والأنظمة البيروقراطية، لها قواعد وأنظمة معينة، والتي تعتبر أجزاء متأصلة من النظام لتكون بمثابة الضوابط وقوى التوازن. ومع ذلك، فمن المرجح أن تكون بمثابة قيود وضغوط للمديرين. تشمل ضغوطات العمل الأخرى ظروف العمل غير المريحة، والعبء الوظيفي الزائد، وعدم السيطرة على عملية العمل والرتابة المطلقة.

وهنا يمكن القول: إن تقليل غموض دور العمل، من شأنه أن يقلل من إجهاد العمل والاضطرابات النفسية المرتبطة بالعمل بما في ذلك اضطرابات القلق. ومن الأفضل للشركات والمؤسسات، أن تعالج مسألة الصحة العقلية في مكان العمل، من خلال سياسة واضحة المعالم في مكان العمل بشأن الصحة العقلية.

#### الخلاصة

هناك عدد من الحقائق الرئيسية أبرزتها منظمة الصحة العالمية فيما يتعلق بموضوع الصحة النفسية في بيئة العمل من أهمها:

- العمل اللائق مفيد للصحة النفسية.
- تردي بيئات العمل -بما فيها تلك المتمسكة بالتمييز وعدم المساواة، وأعباء العمل المفرطة، وضعف المشاركة في القرارات المتعلقة بالعمل، وانعدام الأمان الوظيفي- يشكل خطراً على الصحة النفسية.
- تشير التقديرات إلى أن ١٥٪ من البالغين في سن العمل، عانوا من اضطراب نفسي في عام ٢٠١٩م.
- على الصعيد العالمي، يُهدر نحو ١٢ مليار يوم عمل كل عام بسبب الاكتئاب والقلق، وهو ما يكلف الاقتصاد تريليون دولار أمريكي سنوياً من الإنتاجية المهدرة.
- توجد إجراءات فعالة للوقاية من مخاطر الصحة النفسية في العمل، وحماية وتعزيز الصحة النفسية في العمل، ودعم العاملين الذين يعانون من اعتلالات الصحة النفسية. ■

(\*) كاتب وباحث مصري.

## نفع من جمال

تَمَتَّعَ بِالْحَيَاةِ وَلَا تُبَالِ  
 سَلَامُ الْقَلْبِ غَايَتُنَا جَمِيعًا  
 وَفِي كُلِّ الَّذِي تَلْقَى سَتَرْقَى  
 تَمَتَّعَ عِنْدَ عَافِيَةٍ وَبَأْسِ  
 وَعِنْدَ الدَّاءِ عِنْدَ الضَّعْفِ صَبْرًا  
 تَمَتَّعَ بِالْغِنَى وَالْمَالِ وَامْنَحْ  
 وَإِنْ ضَاقَتْ فَلَا تَحْزَنْ طَوِيلًا  
 وَدُونَ الضِّيقِ لَنْ تَهْنَأَ بِوُسْعِ  
 وَحَسْبُكَ أَنْ فَقَرَ الْمَرْءُ يَوْمًا  
 تَمَتَّعَ بِابْتِسَامِكَ وَسَطِّ صَحْبِ  
 وَلَوْ سَافَرْتَ غَامِرٌ مُسْتَعِينًا  
 تَمَتَّعَ حِينَ تَعْمَلُ حِينَ تَسْعَى  
 وَبِاسْتِرْخَاءِ رُوحِكَ حِينَ تَنَآى  
 تَمَتَّعَ بِالْبَنِينَ غَدَاؤًا كِرَامًا  
 بِأَنْسِ الْعَالِيَاتِ يَفِضْنَ عَطْفًا  
 وَدُونَهُمَا صَفَاءُ الدِّهْنِ فَا نَعَمْ  
 وَأَطْعَمَ كَفَّ عَطْفِكَ هَدَاهَاتِ  
 تَمَتَّعَ بِالسَّكِينَةِ حِينَ تَغْفُو  
 بِصَوْتِ الْعِزِّ حِينَ الْخَيْلُ تَعْدُو  
 بِقَرٍّ أَوْ بِحَرٍّ كُنْ رَضِيًّا  
 فَلَوْلَا رَجْفَةٌ مِنْ لَسَعِ بَرْدِ  
 وَلَوْ دَامَتْ إِقَامَتُنَا بِظِلِّ  
 تَمَتَّعَ فِي الْحَيَاةِ بِكُلِّ شَيْءٍ

وَأَشْرَقَ بِالرِّضَا فِي أَيِّ حَالِ  
 وَطِيبُ النَّفْسِ أَجْمَلُ فِي الْوِصَالِ  
 بِشَيْءٍ، فِيهِ نَفْحٌ مِنْ جَمَالِ  
 وَكُنْ لِلْحَقِّ حِصْنًا كَالْجِبَالِ  
 لِأَنَّكَ فِي مَعِيَّةِ ذِي الْجَلَالِ  
 تَجِدُ عَوْضَ الْكَرِيمِ عَلَى التَّوَالِي  
 فَدُنْيَانَا تَأُوبُ إِلَى زَوَالِ  
 وَدُونَ الْعُسْرِ لَنْ تَهْنَأَ بِمَالِ  
 يُخَفِّفُ عَنْهُ نَائِبَةُ السُّؤَالِ  
 وَدِفْءُ الْمَرْءِ فِي صَحْبِ وَآلِ  
 وَبَعْضُ الْخَيْرِ فِي شِدِّ الرَّحَالِ  
 وَلَوْ كَانَتْ خَطَاكَ عَلَى النَّصَالِ  
 بَعِيدًا عَنْ مَشَاغِلِكَ الثِّقَالِ  
 بِهِمْ تَعْتَزُّ مَا بَيْنَ الرَّجَالِ  
 تَلُوذُ بِنَهْرِهِ عِنْدَ اشْتِعَالِ  
 بِرَاحِ الْبَالِ مِنْ (وَشِّ) الْعِيَالِ  
 عَلَى كَتِفِ الصِّغَارِ بِلَا تَعَالِ  
 عَلَى سِحْرِ النَّدَاوَةِ فِي ابْتِهَالِ  
 إِلَى دَاعِيِ الْحَمَاسَةِ وَالنِّصَالِ  
 وَلَا تَسْخَطْ، وَعِشْهَا بِاعْتِدَالِ  
 لَمَّا أَدْرَكَتَ دَفْنًا فِي اللَّيَالِي  
 فَسَوْفَ نَمَلُ أُغْنِيَةَ الظَّلَالِ  
 وَفُزْ بِالسَّتْرِ فِي كَنْفِ الْحَلَالِ





مجلة علمية ثقافية أدبية  
www.hiragate.com

مجلة علمية ثقافية أدبية  
تصدر كل شهرين عن دار الانبعاث  
للنشر والتوزيع

رئيس التحرير  
صابر المشرفي

مدير التحرير  
إسماعيل قايار

سكرتير التحرير  
أحمد السيد

الإخراج الفني  
أحمد شحاته

نوع النشر  
مجلة دورية تصدر كل شهرين

الطباعة

دار الجمهورية للصحافة

رقم الإيداع  
٢٤٢٦١

ISSN 2357-0229-94

## المنحى العام

- حراء مجلة علمية ثقافية أدبية تعنى بقراءة الكون والإنسان والحياة من منظور قرآني حضاري إنساني.
- تهدف إلى بناء الإنسان المتوازن علمياً وفكرياً وسلوكياً.
- تسعى إلى أن تكون إضافة نوعية مفيدة في الساحة الثقافية شكلاً ومضموناً.
- مجلة حراء ملتقى للفكر الإيجابي الحضاري البناء.
- تنطلق من رؤية حضارية تستمد طاقتها من ثراء الخبرة التاريخية للأمة الإسلامية والأسرة الإنسانية لمعالجة قضايا الواقع واستشراف آفاق المستقبل.
- تسعى إلى معالجة المعارف الإنسانية من منظور تألّفي بين العقل والقلب، والعلم والإيمان، والفرد والمجتمع، والروح والمادة، والنظري والتطبيقي، والمحلي والعالمي، والأصالة والمعاصرة.
- تحرص على الصحة في المعلومة، والإيجابية في الطرح، والعمق في التحليل، والإثارة في الكتابة، والحرية في التعبير مع احترام المقدسات والخصوصيات، والالتزام بالمبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية المشتركة، والإنصات إلى الآخر، والانفتاح على الحكمة الإنسانية حيثما كانت، والحوار البناء الذي يخدم الإنسان ويفيده؛ كما تحرص على الابتعاد عن الإقصاء والاستفزاز والإساءة والعنف والتطرف والسطحية والسلبية فيما تنشر.
- تهدف إلى الجمع بين عمق الفكرة، وجمالية الصياغة، وبساطة العبارة، ووضوح المعنى في أسلوب الكتابة.

## معايير النشر

- أن تكون المادة المرسله جديدة لم يسبق نشرها.
- ألا تتجاوز عدد الكلمات ١٥٠٠ كلمة. وهيئة التحرير لها الحق في التصرف تليخياً واختصاراً.
- المادة المرسله تخضع لتحكيم لجنة علمية استشارية، وهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء تعديلات على المادة قبل إجازتها للنشر.
- المجلة تحتفظ بحقوقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وطبقاً للتوقيت الذي تراه مناسباً.
- للمجلة الحق في أن تكتفي بنشر المادة المرسله إليها في موقعها على الإنترنت دون استئذان كاتبها ما لم يؤكد الكاتب أثناء الإرسال رغبته في النشر في المجلة الورقية حصراً. علماً بأن ما ينشر إلكترونياً لا يترتب عليه أي مكافأة مالية.
- المجلة تلتزم بإبلاغ الكتاب بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- للمجلة حق إعادة نشر المادة منفصلة أو ضمن مجموعة من المقالات بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى لغة أخرى دون استئذان صاحب المادة.
- المقالات المنشورة في مجلة حراء تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- مجلة حراء لا تمنع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.
- مجلة حراء ترجو كتابها الأكارم أن يرسلوا مع المادة نبذة مختصرة عن سيرتهم الذاتية مع صورة واضحة لهم.

ترسل جميع المشاركات إلى البريد الآتي: [hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)



EGYPT

٢٢ ج جنوب الأكاديمية، التجمع الخامس، القاهرة الجديدة، القاهرة.  
اشترك وتوزيع هاتف: +201000780841  
[hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)

NIGERIA

Nusret Educational And Cultural Co. Ltd.  
Aguiyi Ironsi St. No: 77/B Maitama - Abuja  
Phone: +2349030222525  
[hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)

IRAQ

Kani İrfan Publishing English Village N°9 / Erbil  
Phone: +964 750 713 8000  
[hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)

USA

Tughra Books  
345 Clifton Ave., Clifton, NJ, 07011, USA  
Phone: +1 732 868 0210  
Fax: +1 732 868 0211  
[hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)

للتواصل مع إدارة المجلة | [hiragate@yahoo.com](mailto:hiragate@yahoo.com)



+20 114 782 4322

كتاب جديد من  
مكتبة حراء

بين الكون والإنسان  
(شذرات علمية)

أ.د. ناصر أحمد سنه

دار الانبعاث

أ.د. ناصر أحمد سنه

بين الكون والإنسان (شذرات علمية)



مركز التوزيع: دار الانبعاث | [daralinbiath@gmail.com](mailto:daralinbiath@gmail.com)

00201023201002



## فراشات السلام

كفراشاتٍ طِرْنَا دَوْمًا      حَلَقْنَا فِي كُلِّ مَكَانٍ  
نَحْمَلُ لِلْعَالَمِ أَحْلَامًا      وَرَسَائِلَ حُبٍّ وَأَمَانٍ  
لَكُنْ أَهْلُ الزَّيْغِ رَمُونَا      بِالْإِرْهَابِ وَبِالطُّغْيَانِ!  
صَبْرًا إِنَّ الْوَعْدَ لَدَيْنَا      نُهْدِي لِلدُّنْيَا الْإِنْسَانَ



ISSN 2357-0229 94  
9 772357 022004  
www.hiragate.com